الهماميل

بقلم

مصطفى نصر

●

دار الهلال

روايات الهلال

مجلة شهرية لنشر القصص العالمى

الغلاف بريشة الفنانة :
ســـميحـــة حســنـــين

أبو الوفا حسنين

ادار أبو الوفا المحرك انطلقت السيارة ، طارت فوق الأرض .
ستترك « ملك البيت » ..
لقد قال لأخيها محمود ، ان اختك تخوننى ، غضب محمود من قوله ، وذهب الى البيت ليأخذها عنده .
سيرتاح أبو الوفا من هذا العناء .. كلما استيقظ من نومه ، بحث عنها ، وضع يده فوق جسدها .
لديه احساس بأنه سيصحو يوما من نومه ، لن يجدها ، سيخطفها منه شاب صغير ويهرب بها .
اقتربت السيارة من « الابراهيمية » ، يتمنى أن يذهب الى بيت عبد العزيز جد ولده اسماعيل .
وقف بالسيارة فى « طريق الحرية » ، بجوار احدى الشجيرات .
لقد أنسته « ملك » ما حدث ، رغم أنه كان يظن انه لن ينساه أبدا . أنسته « ملك » كل شىء .
لقد أخطأ حين تزوجها ، تعلل لأقاربه ، ولجد اسماعيل وجدته « دولت » بأنه سيتزوج « ملك » لتخدمه وتخدم ابنه .
احس برغبة فى البكاء . الطريق مظلم . ولو بكى لن يرى دموعه احد .
آه .. أحقا نسى ماحدث ؟ لن يذهب الى بيت عبد العزيز ، لا يريد أن يرى أحدا هناك .

.. ..

كان اسماعيل يعيش فى بيت جده عبد العزيز ، بعد موت امه ، تعلق به عبد العزيز ، وجدته دولت . اذا ما جاء الى بيت أبو الوفا يوما أو يومين ، تأتى جدته دولت ، تقبله ، ولا تخرج من البيت الا به .
عبد العزيز ـ جده ـ لا يستطيع أن يبقى فى « فيللته » بدونه .
الليلة التى ينام فيها لدى أبو الوفا ، يقلق الرجل طوال الليل . يوقظ زوجته « دولت » :
ـ اننى قلق على اسماعيل .

الرجل طيب الى حد بعيد ، العائلة كلهـــا تتندر على أفعاله ، يعاكس الاطفال الصغار طوال جلسته ، مهما كانت منزلة الموجودين. يجلس الاطفال فوق ساقيه ويحكى لهم حكاياته البسيطة .

كان يمتلك مصنعا للصابون فى كرموز . يرتدى دائما بدلا مخططة ، ويحلق شعر راسه بالموسى ويلبس طربوشا .

اشترى عبد العزيز لاسماعيل سيارة صغيرة ، كان يأتى بها الى ابيه ابو الوفا . يطلق نفيرها فرحا ، حتى تنظر « ملك » اليه ، تلوح بيدها من الشرفة ، تناديه :

ـ اطلع يا اسماعيل ، بابا فى انتظارك .

ويأتى ، ملك تتفرغ له ، لا تحدث سواه ، يجلسان متجاورين يتحدثان ويضحكان .

اسماعيل طويل ـ مثله ـ من يراه يظنه اكبر من عمره بكثير .

جاء ذلك اليوم ، وضعت ملك يدها فوق كتفه ، شد اسماعيل زجاجة العطر من يدها ، ضحكا .

قالت وهى ما زالت تضحك :

ـ انه عطر نسائى ، اصدقاؤك سيسخرون منك لو شموا رائحته.

ـ ليس مهما .

صرخ ابو الوفا فيهما : اجننتما ؟!

اقتربت هى من ابو الوفا ، كانت تضحك ايضا :

ـ لماذا تصرخ هكذا ، ابنك يريد ان يأخذ زجاجة عطرى .

وقف اسماعيل مرتبكا وقد احمـــر وجهه . ابو الوفا ما زال ثائرا . قال :

ـ لا احب هذه الطريقة .

اسرع اسماعيل الى الخارج ـ نادته « ملك » . ولكنه لم يأت . لم يرد . صاحت ملك بابى الوفا غاضبة :

ـ الموقف لا يستحق ما فعلته .

ـ لقد نسيت نفسك معه .

ـ اسماعيل لا يأتى الى بيتنا الا مرة كل عدة شهور .

ـ ولو .. .. ..

كان قلقا من أجله ، ولكنه لم يظهر هذا لها .

الحت « ملك » بأن يذهب اليه فى بيت جـدته ليصـــالحه ، ولـكنه قال :

ـ سينسى هذا وسيأتى كعادته .

نام أبو الوفا ، ودق التليفون ، يذكر هو — للان — صوت الدق .. لم يكن ككل مرة . قالت « ملك » فزعة :

— اللهم اجعله خيرا .

لكنه لم يكن خيرا ، صاحت دولت فى هلع :

— ابنك تصادم بسيارته .

.. ..

كان اسماعيل يرقد فوق الفراش ، وجهه أصفر .

احس أبو الوفا ان الموت يقترب منه .

دولت تبكى فى صمت ، والجد عبد العزيز منزو فى ركن الحجرة ، يشد منديله بأسنانه ويبكى .

نظر اسماعيل اليهم جميعا ثم مات .

احقيقة انه اماته عندما أغضبه ، ام ان سرعته الزائدة بالسيارة هى التى فعلت به هذا ..

.. ..

ارتعشت يدا ابى الوفا فوق عجلة القيادة . احس بأنه سيصطدم بالسيارة التى تسبقه .

— ها انا فى الشقة وحدى ، حتى الخادمة طردتها .

دخل حجرته ، ارتمى فوق الفراش بملابسه . أضاء المصباح ، رمى حذاءه من قدميه ، وسار بالجورب .

الدولاب مفتوح ، ملابسها أخذتها ، لكن عطرها وأدوات زينتها ، ما زالت فوق « التسريحة » مشد صدرها ملقى بجوار السرير ، لعلها نسيت أن تأخذه ، أو خجلت من حمله عن الارض أمام أخيها ، الذى كان يتعجلها فى انهاء حزم امتعتها قبل أن يعود أبو الوفا .

امسك المشد . تشمم رائحته ، وضعه فوق الفراش بحذر .

سار فى الحجرات الاخرى ، راى الاشياء كما هى .

لا يذكر انه بقى فى الشقة دون « ملك » ، كانت ترافقه فى كل مكان ، حتى فى عمله تتصل به ، تطمئن عليه ..

فى البيت تسير خلفه :

— أبو الوفا ، أنظر هذا الثوب .

ينظر الى ثوبها ، تتبعه ثانية :

— أبو الوفا ، ما رأيك فى هذا العطر ؟

لا تكف عن الحديث ، تحكى له عما قالته الخادمة ، وما قالته النسوة من خلال نوافذ المطبخ . رائحة عطرها تطارده .

ملك تأتى اليه من باب الشقة ، يتابع بياض بشرتهـــا ، نضارة صدرها الذى لم يجرب الرضاعة بعد . تخطو اليه بجسدها البض ، بلون شعرها الشديد السواد . بابتسامتها العذبة . أحقيقة ، يستطيع أن يعيش فى الشقة بدونها ؟!

أسرع الى الحجرة الاخرى ، وجد الحذاء الملقى بجوار السرير ، وضع قدميه داخله .

سيسرع الى محمود اخيها ، سيأخذها ، سيعيدها الى البيت .

لون وجهه يزداد قتامة .

لا يستطيع أن يذهب الى محمود الان ، ماذا سيقول عنه ، كان يتهمها بالخيانة منذ ساعات قلائل . وكان يطلب منه ان يأخذها ، والان يجىء ليردها الى بيته ، وكأن شيئا لم يحدث !؟

شعر باخفاق ، ارتمى ثانية فوق الفراش ، أطاح بالحذاء . كيف سيستطيع أن يتحمل ذلك الليل . آه لو أتاه النوم سريعا ، حتى يريحه من عناء الارق .. !

.. ..

فى الصباح ، ارتدى ملابسه بهدوء شـديد ، احس بأن جسده مخدر . وانه ينقل قدميه بصعوبة لعل هذا من اثر السهر الطويل .

حمدا لله لانه يذهب الى عمله بسيارة المديرية . وان سائقا يقود السيارة له . لو كان يذهب بسيارته ما استطاع ان يقودها .

حياه السائق ، فتح له الباب ، لا يذكر ان كان قد رد تحيته أم لا .

سارت السيارة ، لم يتحدث مع السائق ككل يوم . تابعه السائق بطرف عينه حذرا .

عندما اقتربت السيارة من المديرية . اطلق السائق نفيرا عاليا لينبه الجنود لقدومه .

أحس بأن دقات أقدام الجنود وبنادقهم تدق رأسه .

رمى غطاء رأسه فوق المكتب وجلس .

عندما تزوج ملك ، لم تكن بهذا الجمال ، كانت نحيفة ، صغيرة . ربما لم تكن أنوثتها قد نضجت ، وربما لم يتغير فيها شىء يذكر . انما احساسه هو الذى يصور له هذا .

أتاه ضابط صغير ، حياه ، قدم له ملفـا ، وقع له فوق بعض الاوراق . لا يدرى ما المكتوب فيها .

رجع الضابط لمكانه ، وأتى جندى آخر بالقهوة .

عندما سيذهب الى البيت سيعود الى صورة الزفاف . ليتأكد من

شكل ملك فى ذلك الوقت .
اتاه ضابط عجوز . حياه باحترام شديد ، تحدث معه ، لا يذكر ماذا قال . كان يفكر فى الحالة التى وصل اليهـــا . لاحظ انه لم يفكر اليوم فى خيانات ملك ، ككل يوم . الا يمكن أن يكون ما رآه بالامس غير حقيقى ، وان ذلك الشاب الذى كان واقفا فى النافذة ، لم يكن يقف من أجلها .
دق التليفون فوق مكتبه . تحدث رئيسه ، طلب عدة أشياء . . .
وضع جندى ــ آخر ــ كوب شاى امامه ، تذكر انه لم يطلب شايا ولا قهوة ، فلماذا يأتيه الجندى بالشـــــاى ، ربما طلبه زميل . . أو . . . أو . . .
انه شديد الغيرة على « ملك » ــ أجل ــ كنت تغار عليها حتى من اسماعيل ــ ابنك ــ لا تخجل من هذا ، دهشت عندما رايته أصبح رجلا ، يكاد طوله أن يصل الى طولك . . كما انه أصلح منك ، فهو أقل عمرا واكثر وسامة .
قالت « ملك » عنه باعجاب :
ــ انه ورث عنك العينين ، اجمل ما فيك .
ولكن ، ايعقل ان يكون اسماعيل قد أحب ملك ؟!
دفع صينية الشاى ، انسكب الشـــــاى الساخن فوق ملابس الجندى .
صاح الجندى ، صرخ من لسعة فوق ذراعه العارى .
دفعه بعيدا عنه وسار .
خرج الى الشارع ، لم يجد سيارته أمامه . تذكر انه جاء بسيارة المديرية . نظر حوله لم يجد السائق ، الذى جاء به فى الصباح .
سار بخطوات واسعة ، بحث عن تاكسى وركبه ، قال :
ــ سيدى بشر .
. . . .
قالت زوجة محمود بابتسامة واسعة :
ــ أهلا « أبو الوفا » ، تفضل .
ابتسم لها ، أسرعت ملك الى الصالة . أحقا أن أبا الوفا ، جاءها . لم يصدق محمود أذنيه .
ماذا يريد من مجيئه ، أيريد أن يهينه بأكثر مما قاله بالامس ؟!
كان أبو الوفا يقف فى منتصف الصالة ، ابتسم لمحمود ، مد له يده ، ولكن محمود لم يصافحه .

ـ ماذا تريد ؟
اقترب منه وهو ما زال يبتسم :
ـ أريد ملك .
ـ تريدها بعد ما قلته عنها بالامس ؟!
كان أبو الوفا مصرا على أخذها ، لهذا تمالك نفسه ، لم يرد على محمود بما يجب ، قال :
ـ حاول أن تكون هادئا .
قاطعه محمود :
ـ هادئا يا « أبو الوفا » ؟! اتقتلنى بكلماتك ، وتقول لى « كن هادئا » آسف . لن تذهب ملك الى بيتك ثانية .
تدخلت زوجة محمود :
ـ محمود . لا يصح هذا . تفضل يا « أبو الوفا » .
لم يلتفت أبو الوفا اليـه ، اسرع الى الداخل وجلس . قالت زوجة محمود :
ـ دعك منه ، لا تؤاخذه ، انه غاضب الان .
اقترب محمود منه وقال :
ـ أختى ، لن تذهب معك . أفهمت ؟!
صاحت زوجته :
ـ يا محمود ، الموضوع لا يستحق كل هذا العناء .
بكت ملك فى حجرتها ، ما الذى يحـدث لهـا ، زوجهـا الذى احبته يتهمها بالخيانة ، واخوها يريد أن ينهى حياتها الزوجية بعناده.
قام أبو الوفا ، اراد أن يدخل حجرة ملك ، لكن نظرات محمود الغاضبة أبعدته .
خرج مسرعا .
.. ..
الى أين يذهب ؟ أيذهب الى بيته . لقد تحول البيت الى جحيم . لن يستطيع احتمال البقاء فيه بدونها .
ذهب الى العمل ثانية . أحس الجنود الواقفون بالباب ، انه فى حالة خطيرة اليوم .
ردد أحدهم :
ـ ربنا يستر .
أشاح بيده ، لما رفع جندى بندقيته ليحييه ، دفع آخر بعيدا . صرخ بأعلى صوته ، وتوعدهم بالعقاب .

احس ـ قبل ان يصل الى مكتبه بقليل ـ ان ساقيه لا تحتملان جسده . وان يديه ترتعشان .
جلس فوق مقعده متهاويا . نسى ان يخلع غطاء راسه ـ ككل مرة ـ احنى هامته ، لمح وجهه فوق زجاج المكتب لم يرتح لرؤيته ، رغم ان صورته لم تكن واضحة .
اقترب ضابط شاب ، همس فى ادب :
ـ لو اخطأ الجنود . قل لى وسأعاقبهم .
صاح فيه :
ـ لا شأن لك انت ، ابتعد عنى الان .
امسك بالقلم ، ارتعشت يداه ، رمى الورق الذى يحمله الضابط العجوز ، تناثر فوق الارض .
جمعه الضابط فى ذعر وخرج .
احس ابو الوفا بعرق بارد فوق جبهته . خلع غطاء راسه ، وضعه فوق المقعد المجاور .. ازدادت ارتعاشة يديه ، نظـــــر اليهما فى دهشة . لم يحس بنفســـــه . ارتمى فوق المكتب .. وبكى بصوت مرتفع ـ تابعه الجنود القريبون من مكتبه . ونظر اليه ضابط من بعيد . ثم ابعد الجنود ، واغلق الباب خلفه .
لم يحس بنفسه ـ الا فوق فراشه فى بيته .
زاره بعض الزملاء ، قالوا له انه اغمى عليه ، فحملوه الى البيت .
.. ..
امسك بالتليفون المجـــاور للسرير ، وهو مسترخ تماما . وجد صعوبة فى حمل السماعة ، احس بأنه غير قادر على الوقوف .
رفع جسده قليلا . امسك بالتليفون . ادار القرص . أحس ثانية بارتعاشة اصابعه وهى تدير القرص .. خمسة . ستة . تسعة . رمى السماعة فى ضيق . لقد نسى الرقم .
ايعقل هذا ، اينسى رقم علوان باشا ـ زميله السابق .
لقد كان يتصل به فى تليفونه الخاص ، كل يوم تقريبا .
احيانا للسؤال عن صحته ، واحيانا للا شىء . سوى أن يجدد علاقته به ، فعلوان باشا قريب جدا من الحكام .
قام من فراشه ، بحث عن اجندة ارقام التليفونات .. « ها هو الرقم » : خمسة . تسعة . ستة .. :
ـ الو ....
هب معتدلا :

ـ الو . أجل . انا ابو الوفا . علوان باشا موجود ؟.
أجل . أجل ياهانم . سأتصل به فى وقت آخر .
وضع السماعة فى ضيق ، ماذا سيفعل الان ، حتى علوان لا يجده. كل الاشياء تتفق ضده ..
كانوا يقولون :
ـ ستصل حتما الى أعلى المناصب ، كل شىء ممهد أمامك ، ثقة القادة ـ تلاميذ شقيقك «أبوزيد» ـ ووصية «أبوزيد» لزملائه وتلاميذه بأن يحسنوا معاملتك .
كانوا يقصدون وقوف علوان بجانبه ..
ولكن كل شىء قد تغير ، منذ أن مات اسماعيل .. بكى يومها . لاول مرة أمام ملك ، ثم احس بالعار . اسرع ليخفى وجهه بعيدا ، حتى لاتراه ، ولكنها لمحت الدموع فى عينيه .
جزعت . أسرعت ، وضمته لصدرها :
ـ حرام يا « أبا الوفا » انك تقتل نفسك هكذا . موت اسماعيل قدر ويجب أن تتحمله .
أتت بالبخور لتهدأ أعصابه .. كان يحس ـ وقتها ـ انه يريد أن يبكى .
عندما ذهب الى العمل ، بكى فى أول يوم ، وبعد ذلك كان يأتيه طيفه ، شاربه الخفيف ، وابتسامته العذبة ، كاد يصرخ أبو الوفا :
ـ لماذا تموت ؟
ثم بكى ..
استدعاه علوان باشا فى مكتبه ، قال له ان يتماسك :
ـ لا ينفع فى عملك سوى الاقوياء . الضعيف فيه لا ينفع . موت ابنك ممكن أن ينبهك كضابط ناجح .
ذكره بصرامة أخيه أبوزيد ـ وما كان يفعله بالمتهمين والمعارضين .
لابد أن يسرع ـ الان ـ لمقابلة علوان قبل أن يسرعوا ، ويقولوا له عما حدث .
.. ..
ركب سيارته ، فى طريقه لعلوان باشا .. علوان هذا ، قبل أن يصل الى مكانته تلك ، كان يحييه باحترام شديد ، كلما قابله ، ثم يسأله عن شقيقه أبوزيد ..
لا يستطيع أن يقول هذا لاحد الان . حتى ولو كان بعيـدا عن العاملين فى الشرطة .

لابد من الاحتراس . فقد يصل هذا الى علوان . فيغضب منه . وهو الباقى له الان .

دخل باب الفيللا الكبيرة . احس بارتعاشة جسده كله . ابتسم للجندى الواقف أمام الباب تذكر الجنود الذين صرخ بهم فى الصباح.

سيقول لعلوان أنه ليس مسئولا عما حدث . فالضابط والجنود اثاروه . كما أنه كان يعانى من نزلة برد . أدت الى اغمائه .. خاصة بعد المجهود الذى بذله فى العمل .

ارتعشت يده وهو يضغط على الجرس ، سار فى الردهة الطويلة. جلس قلقا ..

أتى علوان ، لم يبتسم له ككل مرة : اهلا « أبو الوفا » .

وقف له احتراما :

ـ اهلا . علوان باشا .

لم يجلس الا عندما جلس علوان :

ـ ماذا حدث لك يا « أبو الوفا » ؟!

ارتعد ، بداية ليست حسنة :

ـ ماذا تقصد يا باشا ؟

قال بحدة :

ـ الذى تفعله فى المديرية كل يوم .

اول مرة يحدثه بهذه الشدة . فى كل مرة كان يخفف عنه ، اكمل علوان :

ـ قلت لك من قبل أن تنسى حادثة موت ابنك . ولكن انت كما انت ، حياتك الخاصة اثرت على عملك . وعملك حساس لا يحتمل هذا ..

ـ ولكن ...

ـ لقد مزقت التقارير التى كتبت ضدك .

ـ اشكرك ياباشا . ذلك ما كنت اتوقعه منك .

ـ لكن . لم يعد لك عمل فى الشرطة بعد الان .

ـ كيف ؟!

ارتمى فوق المقعد متهالكا :

ـ ستنقل الى عمل مدنى .

مدنى ؟! أحس بأنه لن يستطيع القيام من مكانه . واحس ان ملك قد انهت كل شىء .

كان يحلم بأن يكون وزيرا للداخلية . أو حتى محافظا ..

ـ آسف يا « ابو الوفا » . ما تفعله لا علاج له سوى هذا . الكل يتحدث عن تصرفاتك الغريبة .
نكس رأسه وقبع فى مكانه :
ـ ستعمل رئيسا لشركة كيماويات .
ـ كيماويات ؟! وما شأنى أنا . . .
قاطعه علوان :
ـ الشركة الوحيدة التى وجدتها شاغرة الان . واعدك ان اجد لك شركة أكبر فى المستقبل .

صالح مجاهد

هبط صالح الدرجات القليلة امام مبنى المؤسسة الكيماوية .
شعر بتعب ، فالحر شديد فى القاهرة ، كما ان ماقاله رئيس المؤسسة لا يدعو للسرور .
وقف بجوار الرصيف ، اخرج منديله ، جفف عرقه واراح يده من حمل الحقيبة الكبيرة .
فقد ارسلوا اليه تلغرافا بالامس :
« نرجو حضورك الى المؤسسة الكيماوية ، غدا لامر هام »
رئيس المؤسسة .
ترك والده المريض ، يهذى ، وجاء اليهم ..
استقبله رئيس المؤسسة بود زائد عن كل مرة ، قبل ان يتحدث طلب له مشروبا مثلجا :
ـ حمدا لله على سلامتك .
ـ شكرا .
ـ الموضوع الذى طلبتك من أجله ـ هام وعاجل . وانت أقدر من يقوم به .
ـ أنا ؟!
ـ اجل . فهناك رجل عسكرى . اسمه ابو الوفا ..
توقف الرجل عن القول ، ثم نظر حوله ، واقترب منـــه أكثر واكملَ :
ـ الموضوع يا ابنى سخيف . ولكن ماذا افعل ؟!
ـ أنا تحت أمرك .
ـ ظروفه الصحية حتمت نقله الى عمل مدنى . ولم يجدوا سوى شركتك . ليكون رئيسا لها فى الاسكندرية . وحالته الصـــحية لا تستدعى سفرا وجهدا . وأيضا ، لان شركتك الوحيدة التى مازالت تحت التأسيس ، ولم يصدر رسميا أمر بتعيينك رئيسا لها .
اتى الساعى بالمشروب المثلج . ابتسم الرجل :
ـ تفضلْ يا ابنى . أعلم أن أعصابك قوية . وتستطيع احتمالَ

انسان مثل هذا .
امسك صالح بالكوب المثلج ..
يقول رئيس المؤسسة « شركتك » .. اجل . فهو يحس ـ مثله ـ أن هذه الشركة ، شركته .. ولكنه لا يستطيع أن يصل الى مدى ارتباطه بها .
فقد نشرت احدى المجلات العلمية مقالا له عن مدى الاستفادة من ماء البحر . لاستخراج مواد كيماوية تدخل فى الصناعة ، وكان ذلك موضوع رسالة الدكتوراة التى حصل عليها من كلية العلوم ـ جامعة الاسكندرية . وكانت المؤسسة الكيماوية ، تدرس مشروع اقامة مصنع ، لاستخراج هذه المواد من ماء البحر ـ بدلا من التى يستوردونها من الخارج ، فقد كان السؤال وقتها : لماذا لا نفعل مثلهم ، اليس لدينا بحار مثلهم ؟!
وعندما قرأ رئيس المؤسسة المقال المنشور بالمجلة ، اتصل به فى الكلية ، وعرض عليه أن يترك الدراسة فى الكلية ، ويقوم بتأسيس هذا المصنع . ووعده بأن يكون رئيسا له .
وقف رئيس المؤسسة ، ثم اقترب منه :
ـ هذا الرجل ، لابد له من معاملة خاصة .
ـ لماذا ؟
ـ لأنه مريض نفسيا ، رجل عدوانى .
ـ وما شأنى به ؟
ـ شأنك انك ابنى . لقد كنت أتابع مقالاتك العلمية باعجاب شديد . وسافرت للاسكندرية لاعرض عليك اقامة المشروع .
ـ أجل . ولكن ...
ـ لا تقاطعنى ، المؤسسة لها افضال عليك ، لا تنس .
أمسك صالح الحقيبة المسنودة بجواره ، بيده . احس بغثيان .. ربما لانه لم يتناول افطاره للان ..
ـ ذلك الرجل ـ يا صالح ـ مسنود . انه يتصل بشخصية قوية . قريبة جدا من الحكام .
أحس صالح بأن أصابعه لا تقوى على امساك الحقيبة :
ـ لهذا ، أخشى أن لم نطعه ، يكون سببا فى الغاء المشروع ، خاصة انه لم يبدأ الانتاج بعد
ـ سأفعل ما امرتنى به .
ـ أرجوك يا ابنى . لا اريد أن يحدث لى مكروه على آخر ايامى .

سيصلكم الرجل فى الغد هاهى الاوراق . معتمدة من رئاســــة الوزراء .

.. ..

اتصل بأمه من تليفون السكة الحديد :

ــ آلو . ماما . أنا صالح . كيف حال أبى ؟

ــ بخير . كيف حالك أنت . أخشى أن تكون قد أصبت ببرد ، صوتك غير طبيعى .

ــ ربما لبعد المسافة . يصلك صوتى هكذا .

جلس فى بوفيه المحطة ، سيشرب فنجانا من القهــوة . الى أن يحين موعد قيام القطار . أحس بالراحة وهو يجلس فوق المقعد . وخوفا من أن ينام ــ من فرط الاجهاد ــ فيفوته القطار .. فلقد بقى ساهرا لوقت متأخر من الليل ، بجوار والده المريض .

قال له والده ــ وقتها ــ :

ــ اخشى ان اموت قبل ان اكمل كتابة مذكراتى .

ابتسم له مشجعا :

ــ ستعيش مائة سنة اخرى . وستكتب ما تشاء من مذكرات .

ــ لقد كتبت جزءا منها . ومشاغل الحيــاة والمرض . ألهتنى عن هذا .

لمس بأصابعه كوبا من الماء المثلج . أتاه به ساقى البوفيه ..

(كانت صفية ــ ابنة على منصور ــ صديق والده ، تحدثه عن أبيها بفخر :

لقد كتبت مذكرات أبى بيدى . وبعــدها أحسست بالفخر ، لقد سبق ابى وأبوك رجال الثورة ، لقد ثارا مع الثائرين ضد الانجليز والخونة ، قبلهم .

لم يكن يهتم وقتها بهذا . حتى عندما نشرت احــدى المجــلات موضوعا عن (على منصور) ووالده وبعض المناضلين ــ قبل الثورة ــ لم يكمل المقال ، اكتفى بالنظر الى صورهم ، وما كتب تحتها . كان يتابع صدر صفية المترجرج ، وهى تنحنى لتربه زهورها .

يشرد فى أشياء بعيدة عن حديثها .

كانت تكبره بعامين ، طالبة فى كلية الاداب ، تشبه والدها .. وجهه الاسمر ، وأنفه الكبير . لكن حركاتها كانت تثيره . لا يدرى سبب هذا ، ربما لانه كان صغيرا .

تعمل صفية الآن صحفية فى مجلة (العهد السعيد) .

عندما يتصفح المجلة ، ويجد لها مقالا منشورا ، يضحك . فهى كما هى ، الحديث عن ابيها ورفاقه ، وعن النساء وحقوقهن .
يحس احيانا أنها تتذكره وهى تكتب هذه المقالات .
اذا ما زار القاهرة يمر عليها فى المجلة ، تتحدث معه كأنها لاتزال الطالبة فى كلية الاداب .
لكن هذه المرة لا يجد رغبة فى زيارتها .
بعد حصوله على الثانوية العامة ، التحق بالكلية الحربية .. أحس ــ وقتها ــ أن والده سعيد لهذا . لم يتحدث معه . لكنه سمعه يحدث أمه قائلا :
ــ لو سلكت هذا الطريق ، لحققت فيه أشياء كثيرة .
لم يهتم بقوله ، وكذلك لم يسمع لأمه ردا . فلقد اعتادت الاسرة كلها على اهتمام الاب بالسياسة وتاريخه النضالى .
اتصل والده بصديقه (على منصور) الذى يعيش فى القاهرة . قال له عن التحاق ابنه بالكلية الحربية . قال الاب ــ بعد ذلك ــ سعيدا :
ــ على منصور سعيد لهذا . ويطلب اليك أن تزوره فى القاهرة .
عندما سألوا صالح فى الكلية ، عن أقرب عنوان له فى القاهرة ، كتب عنوان (على منصور) . فلم يكن له أقارب فى القاهرة ، كما أن على منصور ، صديق حميم لوالده ، وكثيرا ما أتى بأسرته لزيارتهم فى الصيف بالاسكندرية .
الفيللا كبيرة ، محاطة بالحدائق والقطط الكثيرة تحوم حول صفية . ووجه على منصور الممتلىء الاسمر فى أجازاته ، يحمل الحقيبة ويذهب اليهم ، نفيسة هانم زوجة على منصور تضمه اليها :
ــ لم ارزق بولد وأنت ولدى . أنت شقيق لصفية .
يقسم الرجل ــ أحيانا ــ بألا يذهب صالح الى الاسكندرية . وأن يقضى يومى الخميس والجمعة معهم وتسرع صفية لتتصل بالاسكندرية ، تخبرهم بهذا . قبل أن يبدى ــ هو ــ موافقته . لكى تجبره على البقاء معهم .
ولكنه فصل من الكلية بعد قضاء أكثر من عام .. لم يكن يعلم وقتها سبب ذلك . ولكنه أحس أن لعلى منصور دخلا فى هذا ــ فقد سألوه قبل الفصل بساعات عن صلته به .
يذكر جيدا ــ ما حدث بعد عودته من القاهرة حاملا كل ما كان يخصه فى الكلية ، فى حقيبة ..

شعر راسه ما زال قصيرا ، ولحيته لم تحلق منذ أن اخبروه بخبر الفصل .

كان مذهولا ، ماذا فعل ليطرد . الان أباه كان صديقا لعلى منصور. الذى غضبت الثورة عليه .

يقولون أنه قد أرسل اليهم خطابا ، ينصحهم فيه بالعودة الى ثكناتهم وترك البلاد للسياسيين ، أغلق صالح حجرته على نفسه ، وظل صامتا لايام عديدة . سمع أمه تقول لابيه ـ خارج الحجرة :

ـ هذا ما أخذناه من السياسة . حتى بعد أن كبرت وصرت غير قادر على فعل شىء . تطاردك السياسة ـ أيضا ـ فى ابنائك .

ويردد الرجل بصوت هادىء ، ضعيف :

ـ قضاء الله وقدره .

(عندما قامت الثورة . قال لزوجته فرحا) :

ـ سأجنى ـ فى هذه الايام ـ ما زرعته ، لا شك انهم سيقدرون مافعلناه من أجل مصر .

تجمدت الدموع فى عينى صالح لعدة أيام . شـــاردا لا يذوق سوى الماء والقهوة والشــاى . كل ما يراه فى نومه وصـحوه : سيروه بعد الطـرد وهو يحمـل الحقيبة بجوار فيللا على منصــور .. والجنود يحيطون بها . وقفل كبير يتدلى وسط الباب من الخارج لم يسأل عما حدث ، كان فزعا .. أقبض على (على منصــور) الرجل العجوز الطيب . ونفيسة هانم ، أهذه يمكن أن تسجن ، أو تتحمل كلمة بذيئة من جندى !؟

بكى وقتها وهو يعطى ظهره للفيللا .

تذكر وجه صفية ، ابتسامتها ، كلماتها السريعــة المتلاحقة عن السياسة وحقوق المراة .

حديثها لم يسمعه من امراة من قبل .

عاد بعدها الى الاسكندرية ، وقلقه على هذه الاسرة يفوق قلقه على مستقبله .

اقترب أبوه منه بعد ذلك ، قال :

ـ ألست برجل . ماذا حدث لكل هذا الحزن . الانك طردت من الكلية . الدنيا ما زالت أمامك . ماذا كنت ستفعل لو حدث لك اكثر من هذا . لقد اعتقلت أكثر من مرة . وتعرضت للموت . وما زلت كما أنا .

أصر الرجل على أن يتناول ولده الطعام من يديه .

بكى صالح ـ يومها ـ بحرارة . منذ أن عاد الى الاسكندرية لم يبك .

نظر فى ساعته وجد انه لم يتبق على قيام القطار سوى دقائق قليلة . اسرع اليه . نظر من نافذته المغلقة . ورمى راسه للخلف . اراد ان ينام . لم يستطع .

قدم أوراقه — بعد ذلك — الى كلية العلوم بالاسكندرية .

اجتمع مجلس الكلية ، قالوا : سنعطيك فرصة أخيرة .

لم يسأل عن قصدهم عن كلمة (فرصـــة اخيرة) ، يعـاملونه وكأنه قد اذنب ، وكان فصله نتيجة لهذا الذنب .

رغم هذا قال : أجل ، هذه آخر فرصة .

ابتسمت أمه وهى تفتح الباب ، أحس بالراحة . فمعنى هذا أن والده بخير ، قبل أمه ، وقال :

— أبى بخير . اليس كذلك ؟

— أجل .

اسرع الى ابيه ، كان الرجل يستند على حافة السرير ، وفى يده كوب شاى :

— انك بخير يا أبى .

— الحمد لله .

جلس بجواره ، قال الاب :

— كانت وعكة صحية قاسية . لم اكن اظن انى سأبرأ منها .

أمسك صالح الشاى منه ، حتى يعتدل على السرير .

— لم اكن أخشى الموت . بقدر خوفى الا اكمل كتابة المذكرات .

لم يجبه صالح ..

يحس الاب أن الجميع لا يهتمون بحديثه عن ماضيه . لا يعارضونه، ولكنهم لا يتحمسون .

— صدقنى يا صالح . ما حدث يستحق التسجيل .

— اجل . صفية ابنة على منصور . قالت لى هذا ايضا .

— سأبدأ فورا فى الكتابة .

— سأبدأ معك .

دخلت الأم :

— صالح . أنت متعب من السفر .

صاح الاب سعيدا :

— ستساعدنى يا صالح ؟

— أجل .

سار مع امه . لا يدرى لماذا قال لأبيه هذا . يشعر برغبة فى أن يقرأ ما كتب ابوه . وان يكتب باقى المذكرات بيده .
لو علمت صفية بهذا لن تصدق . فقد كان يصدها كلما حدثته عن السياسة .
صفية ما زالت عذراء رغم مرور السنين .
تسكن نفس الفيللا وحدها ..
الأب مات ، والأم كذلك ، وهى كما هى . كلما زارها احس بأنها سعيدة رغم البقاء بلا زوج الكتب حولها من كل جانب .
تقف سعيدة اذا ما رآته . تخرج من خلف مكتبها . تحمل النظارة بيدها . تمسك يده تتحدث بسرعة وحماس كما كانت .
تدور وهى ممسكة يده . تسير معه فى نفس الاماكن التى سارت فيها ــ أيام أن كان فى الكلية الحربية . يخيل اليه ــ وقتها ــ أن على منصور سيأتى بطربوشه . ومعه نفيسة هانم .
تنحنى صفية . تهذب بعض الازهار ، تغير الموضوع الهام الذى كانت تتحدث فيه ، لتذكر له اسم الزهرة التى تمسكها ، وكيف زرعتها ، ومن اين أتت ببذورها .
لكن بعد أن يفارقها يرثى لحالها ، الى متى ستظل هكذا . بلا زوج.. انه أقل عمرا منها ورغم هذا . بدأ المشيب يغزو رأسه .
ويتذكر أنه لم ير شعرة واحدة بيضاء فى شعرها ، ولا يظنها تستخدم صبغات لتخفى الشعر الأبيض .

استيقظ صالح مبكرا ، نظر الى حجرة والده ، اطمأن لوجوده . يحس أحيانا بأنه سيستيقظ يوما ، فلا يجده بينهم .
أحس برغبة فى تقبيل وجهه الشديد النحافة .
ارتدى ملابسه . وقف فى الشرفة ينتظر سيارة الشركة .
ظل السائق يطلق نفير سيارته لمدة طويلة . حتى افاق من شروده ، قال السائق :
ـ حمدالله على سلامتك .
ـ الله يسلمك .
ـ افتقدناك فى الشركة ، ارجو أن تكون قد وفقت .
ـ أجل .
الكل قلق عليه ، فالتفراف الذى ارسله رئيس المؤسسة باستدعائك كان مفاجئا لهم جميعا .
قال عبده رشوان ـ المسئول المالى بالشركة :
ـ ان رئيس المؤسسة يطلبه ، ليسأله عما تم من انجاز فى العمل .
واكد ابراهيم زيدان ـ المسئول الادارى :
ـ لعله يطلبه لصرف مكافاة لنا ، على المجهود الذى بذلناه فى انشاء الشركة .
لهذا ، أسرعوا اليه عندما راوه يدخل باب الشركة :
ـ خيرا ؟
قالها عبده وهو يشد على يده ، واسرع ابراهيم ليسمع ما سيقوله، ابتسم صالح قائلا :
ـ انتظرا حتى اجلس .
التف حوله كل العاملين فى المشروع ، قال :
ـ الموضوع هام جدا ، ولا أستطيع التحدث فيه هنا .
دخلوا خلفه الحجرة . البعض جلس على المقاعد ، وظل الباقون واقفين .
ـ سيأتى الى الشركة رئيس جديد .

زاموا ، قال عبده :
ـ وانت ؟!
ضحك :
ـ الرئيس الجديد ضابط سابق فى البوليس !
ـ ضابط ، وما شأنه بشركة كيماويات ؟!
ـ ليس هذا موضوعنا .
صالح أقل عمرا من كثيرين معه . لكنهم مرتاحون له . فهو يحسن معاملتهم .
ـ الموضوع ان رئيس الشركة عصبى المزاج . ونقل من البوليس لان حالته سيئة .
زاموا :
ـ وما ذنبنا نحن ؟
ردد آخر :
ـ لسنا بمصحة عقلية .
صاح صالح :
ـ أرجوكم ، ذلك الشخص يتصل بشخصية قـوية ، قريبة من الحكام . ومن الممكن ان يلغوا المشروع من أجله . خاصة أننا لم نبدأ الانتاج بعد .
صمتوا .
ـ لهذا ، ارجو ان تساعدونى ، حتى لا نفقد المشروع الذى تعبنا فى صنعه معا .
قال ابراهيم :
ـ ولكن رئيس المؤسسة وعدك من قبل ...
قاطعه صالح :
ـ الرجل معذور . انها أوامر لا تقبل جدالا .
نظروا الى صالح فى صمت ، قال صالح لعبده :
ـ أرجو أن تستعدوا لاستقباله ، وأن تجهزوا له هذه الحجرة . وجهزوا لى حجرة اخرى .

جمع ابراهيم زيدان بعض العمال ، وجعلهم يمسحون الارض . واستدعى النقاشين والخطاطين ليكتبوا اللافتات التى ترحب برئيس الشركة الجديد . فربما يأتى فجأة .
عاد صالح الى بيته ..

دخل حجرة ابيه ، وجده مشغولا بجمع أوراقه القديمة :
ـ كيف حالك يا ابى ؟
ابتسم :
ـ تعال . اننى اعد المذكرات لتكملها معى . كما وعدت .
جلس صالح امامه ، اخذ يبحث بين الاوراق ، أتت امه :
ـ متى أتيت ؟
نظرت شذرا الى أوراق ابيه .
لقد عانت كثيرا من السياسة ، فقدت شقيقها ، وتركها زوجها سنوات طوال ، عندما كان معتقلا مرة فى الفيوم ، ومرة فى سجن الحدراء ، وكثيرا ما دقت الشرطة بابها ليلا . بحثا عنه أو بحثا عن أوراقه .
فكيف تترك ولدها يذهب هو الآخر بعيدا عنها .
لم تجد الام ما تقوله ، فخرجت . امسك صالح بأوراق ابيه وقال:
ـ سأطلع عليها ، وسأكمل الباقى معك .
صاح الأب :
ـ صالح . حافظ عليها جيدا .

صفحات من مذكرات « مجاهد عبد الراضى »

ولدت فى ٢٤ ابريل عام ١٨٨٢ بشارع جودة فى حى الانفوشى ..
ادخلنى والدى مدرسة الجمعية الخيرية الاســــلامية بزاوية خطاب ، وكانت تعلم القرآن الكريم واللغة العربية .

كنت اذهب الى المدرسة راكبا عربة حنطور . تقف امام بيتنا كل صباح ، رغم انالمسافة ليست بعيدة ، ولكن والدى يصر أن يعرف أهل الحى ، انى اتعلم فى مدرسة « حيث كان الذين يتعلمون فى المدارس ، فى هذا الوقت ، قلة » .

وبعد ان اكملت حفظ القرآن الـكريم ، واجدت قواعد اللغة العربية . الحقتنى المدرسة بورش « حسبو بك محمد » (١) لتعليم السباكة وخراطة المعادن .

بعد انتهاء عملى ، اذهب الى ورشة ابى فى « الهماميل » وهو حى يقع بين المنشية واللبان ، وتكثر فيه ورش السباكة والحدادين. وكانت معظم ورش الحى تعمل فى صــناعة « الهماميل » ، وهى القواديس التى تحمل الماء فى السواقى . ولهذا سمى الحى باسمها تعرفت بعد ذلك على « على منصور » ، قابلته أول مرة فى ورشة أبوه « محمد منصور » ، وهى أكبر ورشة فى الهماميل كلها . وتقوم بصناعة عجلات العربات الكارو . وعجلات عربات الحنطور والهماميل .. الخ .

عندما رايت على منصور ، اقتربت منه . أحسست بحب له . فقد كانت ملابسه نظيفة ومنظمة .. حيث انه لم يكن يساعد والده فى الورشة . ويتعلم فى مدرسة الاقباط الارثوذكس . لا فى ورش حسبو بك ، مثلى .

تكررت رؤيتى له . فقد كان والدى يتعامل مع والده احيانا . يعهد اليه التجار بصناعة الهماميل فاذا ما كانت الطلبات عنده كثيرة ولا تستطيع ورشـة انجازها كلها استـعان ببعض الورش الصغيرة . ومنها ورشة أبى .

(١) كرمت بلدية الاسكندرية حسبو بكمحمد ، فاطلقت اسمه على شارع صغير بحى محرم بك متفرع من شــارع منشار تخليداللدوره فى تعليم الصبيان الصناعة .

ثم جاء علي لزيارتي في ورشة ابى . لاحظت انه يمسك دائما بجريدة . سألته عنها فقال :

— انها جريدة اللواء .

اخذ يحدثني عن مصطفى كامل . واللواء ، والانجليز .

كان والدى سعيدا بعلى لسببين :

الاول : لأنه ابن محمد منصور ، صاحب الورشة المشهورة بالهماميل . والفنى جدا . وان صداقتى لابنه ، قد تؤدى الى ان يعلم الرجل . فيهتم بأبى . ويعهد اليه بصناعة عدد اكبر من الهماميل . التى يتعاقد على صناعتها مع التجار الكبار .

الثانى : ان عليا ما زال فى مدرسة . وهو غير الاولاد الذين يترددون على الورشة ، يدعوننى لاعمال السوء . كمتابعة المغنين ، وتدخين السجائر .

بعد ان ذهب على ، قال ابى فرحا :

— ولد مؤدب . ليتك توطد علاقتك به .

قرأت مجلة اللواء التى تركها على لى ، ثم واظبت على شرائها بعد ذلك ..

اتانى على ببعض الكتب ، وجدت صعوبة فى قراءتها — فى اول الامر — لا لأنى لا أجيد القراءة . ولكن . لأنى لم أتعودها .

بعد ذلك صار هذا على هينا . فعرفت باعة الكتب والمجلات .

ثم بدأت اناقش على فيما قرأته .

عرض على « على » الاشتراك فى جمعية تعمل لصالح مصر بقوة السلاح .

ظللت شاردا طول الطريق . كنت اريد ان اوافق . ولكن الخوف منعنى :

— ماذا ترى ؟

— ولكنى لا أجيد استعمال اى نوع من الاسلحة .

— ستعلمك الجمعية كل شيء .

كنت قد تأثرت بعلى . قبل ان اعرفه لم اكن اقرأ سوى اسماء عملاء أبى . وأرقام مبيعاتهم .

لم أكن ابرح الورشة الا لقضاء الحاجة فى مقهى قريب . ثم العودة . فقد كان أبى يحذرنى دائما من رفاق السوء .

ولكن « عليا » جعلنى ارى أشياء جديدة . لم أكن أعرفها :

موافق .

شد على يدى فرحا :
ـ لا تقل هذا لأحد . وسأقابلك بعد اسبوع .
ـ اسبوع ؟! لن اقابلك اسبوعا بأكمله ؟!
ـ اجل . سأسافر لقضاء بعض الحاجات ، وسأقابلك السبت القادم ..
علمت بعدها . انه سافر الى القاهرة ، ليستأذن اللجنة العليا للجمعية فى ضمى لها .
.. ..
ظللت انتظر يوم السبت بلهفة .
اقف أمام النار شاردا ، يصرخ أبى فى :
ـ مجاهد . احترس .
اصحو فزعا . اجيب ابى . ثم أعود ثانية لشرودى .
وجاء « على » يوم السبت كما اتفق معى . قبلته فرحا . وصاح ابى معاتبا :
ـ اسبوع بأكمله لا نراك .
ـ مشاغل يا عمى .
سأله ابى عن والده ، وعن صحته . وسرنا معا . كانت هناك عربة حنطور تنتظرنا ، صعدنا اليها ، همس على :
ـ ارجو أن تستجيب لكل ما آمرك به . ولا تسأل الان عن شيء .
اومأت براسى ولم اجب .
لم ينظر السائق الينا . لم ار وجهه . كما ان الوقت كان متأخرا . والشوارع تكاد تكون خالية من المارة .
اخرج على منديلا . وعصب عينى ، ارتعش جسدى . ولكننى تذكرت ما قاله على .. فصمت .
سارت العربة حوالى ثلث الساعة ، وانا كما انا .
تمنيت ان اسمع حديثا بين على والسائق . لأحس انهما ما زالا موجودين معى . أو ان آخرين قد انضموا اليهما .
وقفت العربة دون أن يقول على للسائق « توقف » .. امسك على بذراعى وقال :
ـ هنا ...
هبطت من العربة بمساعدته . دخلنا سردابا . كدت أتعثر فيه . لولا أن رفعنى « على » مرددا :
ـ احترس .

ثم سلمنى – بعد ذلك – الى اثنين – تبادل التحية معهما دون ان يذكر اسميهما .
– اخذانى واجلسانى فوق مقعد . ثم سألنى احدهما :
– اتعرف اين انت الآن ؟
– كلا ..
– تعرف لماذا جئت الى هنا ؟
– اجل ..
– مستعد أن تعمل فى جمعية سرية لخدمة مصر ؟
– اجل ..
– وأن تضحى بالمال والروح والأب والأم والابن فى سبيل مصر ؟
– اجل ..
– اقسم اليمين .
حذرنى محدثى ، قبل ان اقسم ، ان الرجوع عن القسم ستكون عاقبته الموت لا محالة . واننى سأكون طوع أمر الجمعية فى اى وقت ، وفى اى امر يامروننى به .
وضعت يدى فوق المصحف واقسمت . ثم امرنى ان امد يدى فجزعت وابتعدت . ثم امتدت يدى ثانية . لتلمس جمجمة بشرية، واطرافا صناعية (كانوا يأتون بها من مدافن العمود خصيصا لهذا).
ضحك محدثى قائلا :
– مبروك . أصبحت الان عضوا فى جمعية التضامن الاخوى . وستكون ضمن مجموعة مكونة من أربعة أفراد . تأتيكم أوامرنا عن طريق « على منصور » مندوبنا طرفكم ، فلا تحاول أن تتعرف على اكثر من هذا .
.. ..
وخرجت معصوب العينين ومشيت مع (على منصور) حوالى ربع الساعة . ثم ازال الغطاء .
فنظرت حولى . فاذا انا بين مينا البصل و « اللبان » .
قال على مبتسما :
– مبروك .
أحسست وقتها . ان عليـــا قد تغير . قامته طالت . وازداد عرضا . كأنه ليس عليا . الذى قابلته منذ سنوات قلائل .
– لقد تأخرنا يا مجاهد . سنفترق الان ، وسآتى اليك بعـد أيام لتحضر أول اجتماع لنا .
.. ..

أتى على في الغد . صاح أبى فرحا به :

ـ أهلا أستاذ على . تفضل .

كان أبى يسمح لنا بالجلوس خارج الدكان ، واذا ما أتى عميل للاتفاق على صنع شيء . يسرع اليه أبى قائلا لى :

ـ لا تدع صديقك . سأتفق أنا مع الزبائن .

سرت بعد ذلك مع « على » ، دخلنا بيتا قريبا جدا من بيتنا ، فى شارع جودة ، يطل على البحر من ناحية الانفوشى .

رأيت هذا البيت كثيرا ، ولم أكن اعتقد قط ، أن لجنة بهذه الخطورة تجتمع فيه .

كان بيتا صغيرا . مكونا من دور واحد .

دخلنا معا ، وقف ثلاثة شبان عندما رأونا . فوجئت بوجود شاب أراه يوميا يمر أمام ورشة أبى . لكننى لم اعرف اسمه .

كان يدخل البيت المواجه لدكان ابى فى « الهماميل » . وكان معروفا فى الحى بلقب « الاستاذ » حيث يعمل مدرسا .

قدمنى على لهم وقدمهم لى :

محمد عوض جبريل .. تاجر غلال بمينا البصل .

عبد الله حسن عوض .. موظف بالجمارك .

واقترب الثالث منى :

ـ حمدى شـــعراوى .. مدرسة بمدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية .

ربت حمدى فوق ظهرى قائلا :

ـ اننى اعرفك ، كنت اتابعك من نافذتى . وانت تقف فى ورشة أبيك . ثم رأيت على منصور يكثر من الحضور اليك . فأحسست انك ستنضم الينا .

الكابوس

يتقلب أبو الوفا فوق فراشه كثيرا ، النوم يعانده . منذ زمن بعيد وهو يكره النوم .
عندما كان طفلا قال لوالده :
ـ انني لا أستطيع أن انام بالنهار قط .
قال الأب :
ـ ذلك دليل صحة .
أهو الآن لا ينام لانه قوى صحيح ، ام ان الارق قد نال منه ؟!
كان قويا حقا وهو صغير . لم يستطع أحد من أقرانه أن يغلبه .
كانت بسراى الباشا حديدة ثقيلة للتمرين . لم يستطع أن يحملها سواه ، وآخر من البلدة لا يذكر اسمه الآن .
تشاجر يوما مع رجل من أهل البلدة ، ضربه ابو الوفا . اتى الرجل بعدد كبير من أقاربه .
ولكن ابا الوفا غلبهم جميعا .. جرى خلفهم .
للآن ، يسخر اهل البلدة منهم ومن اولادهم . قائلين لهم :
ـ أبو الوفا حسنين جرى وراءكم بمفرده .
نفعه هذا كثيرا ، فبعد تخرجه فى مدرسة الكونستبلات عمل فى مأمورية الضبط مع شقيقه أبوزيد حسنين . ولكن لم تجمعهما بلدة واحدة .
كان أخوه ينقله دائما بعيدا عنه . بعد أن يوصى من يعمل معه بأن يحسن معاملته .
قام ونظر فى ساعته ، وجدها تقترب من الثانية عشرة .
شعره أشعث ، ووجهه مكدود ، لحيته لم تحلق منذ أن تركت « ملك » البيت . وعيناه حمراوان .
تحسس لحيته بأصابعه . الشعر الابيض صار هو الاغلب .
دار فى الحجرات .
تذكر يوم أن مات اسماعيل ابنه خرج ـ يومها ـ الى حديقة المستشفى الكبير .
ارتمى فوق الارض ، بكى ، التف الناس حوله ، لامه بعض اقاربه

قائلين :
ـ الناس تتفرج عليك .
لم يستطع حضور الجنازة . فقد حملوه فاقد الوعي الى البيت . ثم الى عيادة طبيب أمراض نفسية وعصبية . بقى بعيادته عدة أيام . احس آلاما حادة وطنين فى اذنيه . وأن أعصابه مرتخية ، لا يستطيع ان يمسك بأصابعه . كانت ملك لا تبارح حجرته ، تبكى من أجله .
خرج من العيادة ، ولكن آلام أذنيه لم تفارقه . وكذلك ارتعاشة يديه ..
زاره علوان باشا وقتها . نصحه بعرض نفسه على طبيب أذن مشهور بالقاهرة .
سافر اليه مع ملك ، ولكن دون فائدة ، فقد أكد له الطبيب ، أن حالة أذنيه طبيعية ، وانما الالام التى يحس بها . بسبب حالة نفسية .
نظر ثانية الى المرآة . احس بأنه لن يستطيع البقاء فى الشقة ،
ارتدى ملابسه على عجل . لا يدرى ما الذى ارتداه .
ركب سيارته وسار بها مسرعا . الشوارع خالية .
انه الآن ـ وحيد ، الكل تركه ، ابوه مات دون أن يترك له شيئا .
وامه تبعته ـ حتى شقيقه ـ الاكبر ـ أبوزيد مات .
ومات اسماعيل بين يديه . وها هى ملك تتركه الآن .
اقترب من الابراهيمية . ازدادت ارتعـــــاشة يديه فوق عجلة القيادة . وطارده الطنين فى أذنيه .
أراد أن يتوقف ليضغط على الاذنين بيديه .
.. ..
لا يدرى كم مكث فى الخارج . فتح باب شقته . كان يفكر فى طريقة ينتقم بها من محمود شقيق ملك . فكر فى ان ينتظره فى طريق عمله .. ويكسر رأسه .
تخيل الدم يسيل من جبهته . وفوق رأسه .. تخيله يصرخ ويضع يده فوق الجرح . ليمنع النزيف .
بعد ساعات قليلة ، قضـــاها مؤرقا . احس بضوء الشمس ، ودقات على الباب ، اسرع الى الباب وجد « ملك » أمامه بحقيبتها :
ـ ملك .
طالعته بابتسامتها .
ـ أجل . اتسمح لى بالدخول .
أفسح لها مكانا لتدخل . وسار خلفها .

كان يود لو رآها . ود لو شدها لصدره ، وابقاها لساعات طويلة داخله ..

وضعت حقيبتها ونظرت اليه دهشة :

ـ ما هذا ! انك فى صورة بشعة .

لمست بيديها وجهه . شعر براحة شديدة للمس يديها .

وضع رأسه فى صدرها وبكى . قالت :

ـ لم استطع أن اتركك فى هذه الحالة ، رغم معارضة أخى محمود . ولكننى اصررت على أن اعود اليك . اعلم انك فى حاجة الى .

احس بأنه قد عاد الى أيام سعادته الاولى معها ..

لو كانت تكرهه ـ او تخونه ـ ما كانت أتت اليه هكذا ..

ضمته لصدرها ، بكى ، وبكت هى الاخرى .

ـ لماذا يا « ابو الوفا » . لماذا ، انا احبك ، صدقنى :

خلع ملابسه ، رماها ، اعدت له حماما ، قالت :

ـ لن ارتاح حتى تعود الى ماكنت عليه . قم لتحلق لحيتك الان .

تبعها كطفل صغير . سعيد بلقاء أمه .

دار فى الشقة فرحا . الشقة ليس بها طعام ، كما انه فى ثورته رمى كل مايلقاه فى طريقه

ساعدها فى ترتيب الاشياء . ضحك . قالت :

ـ اسعد عندما أراك مبتسما . ليتك تبتسم دائما .

ارتديا ملابسهما . ذهبا الى النادى .

تذكر يوم أن تزوجها . كانت خجلى . تخفى وجهها بيديها .. صغيرة كانت . وهو جرب كل شىء . حملها بين يديه . ضحكت فى خجل .

بعد ساعات قلائل . احست بالفة نحوه . حكت له عن رغبتها فيه . منذ أن ماتت زوجته الاولى ـ أم اسماعيل ـ كان لديها احساس بأنه سيأتى ليتزوجها . أيام أن كان يأتى لزيارة شقيقها محمود .

اخذها بعد أيام ـ من زواجهما ـ الى النادى ، كانت تدخله لاول مرة .

احست أن الذين يعرفونه ـ من قبل ـ يتهامسون :

ـ انظروا الى « أبو الوفا » ، لقد صغر عشرين عاما . كأنه يتزوج للمرة الاولى .

كان يرتدى ملابس لا تليق بعمره . ملابس لم ترها عليه « ملك » أيام أن كان يأتى اليهم .

.. ..

نسى أبو الوفا حاله ، لايريد أن يتذكر الشركة التى سيراسها من الغد .

كلما خطرت بباله ، حرك يده فى ضيق ليطردها .

فليعش لحظاته سعيدا مع ملك .

تباعد أعضاء النادى ، عندما رأوهما معا . فهم يعلمون مدى غيرته عليها .

تنظر ملك الى الناس . تود لو شاركوها جلستهما . تمنت لو أسرعت اليهم . تلعب معهم . كما كانت تفعل قبلا .

ولكنها تخاف أن يعود ثانية الى غيرته .

فى السيارة قال لها :

ـ لقد نقلت من العمل .

قالت فزعة :

ـ ستترك الاسكندرية ؟

ـ كلا . سأترك الشرطة نهائيا .

ـ كيف ؟

ـ نقلت الى عمل مدنى ، رئيسا لشركة كيماويات .

ـ لماذا لم تقل لى هذا بالامس .

ـ كنت أريد أن أسعد للحظات .

احس برغبة فى البكاء على صدرها ، واحست ـ هى ـ برغبة لضمه .

الدموع انثالت رغما عنه :

ـ يجب أن تتماسك ، لقد كنت ناجحا فى عملك السابق . وستنجح فى عملك الجديد .

ـ أننى لا افهم شيئا فى الكيماويات .

شردت ، كيماويات ، ماشأنه هو بهذا ؟!

ـ سيكون لك مساعدون يفهمون فى الكيماويات .

.. ..

كان متعبا ، لم يستطع أن يقاوم ، أحس باسترخاء شديد . ورغبة فى النوم . ليالى طويلة لم ينم فيها سوى سويعات قليلة .

قبلته « ملك » كطفل صغير ، نام فوق فراشه ، و « ملك » فى

الحجرة الاخرى ، تعد له ملابسه التى سيرتديها فى الصباح . لم يصدق أن النوم سيأتيه .
أتاه أبوه حسنين ، ببدلته القديمة ، التى لا لون لها .. والمنديل الابيض المتسخ ـ تحت الطربوش ـ ويديه تطبقان فوق الكرش الممتد فى ذل أمام الباشا .
ـ ولدى أبو الوفا .
أسرع أبو الوفا الى الباشا ، قبل يده « كما أوصاه أبوه قبل أن يدخلا »
ـ أبو الوفا يريد أن يلتحق بمدرسة الكونستبلات ياباشا .
ضحك الباشا :
ـ ابنك أبوزيد ضابط كبير الان . يمكنه أن يسهل لك هذا .
شد أبوه يديه فوق الكرش :
ـ حاشا لله ياباشا . ليس لنا ـ فى الدنيا ـ سواك . حتى لو وصل أبوزيد ابنى لدرجة وزير .
ـ اتريد ان تحول بيتك الى قسم شرطة ألم يكفك ضابط واحد .
ضحكوا بصوت مرتفع .
كان أبوه يخفى آلامه . من تجاهل أبوزيد له . القرية كلها تتحدث عنه ـ اسمه يكتب الان فى الجرائد القليلة التى تصل القرية ، ولكنه لا يأتى اليها أبدا .
قالت أم أبى الوفا لأبيه :
ـ يارجل . اذهب اليه وابحث عنه فى القاهرة . أى جندى فى الشارع تسأله عنه ، سيدلك .
ولكن الرجل لم يذهب ، قالت :
ـ انه لايريد أن يأتى من اجلى ، انه لا يحبنى ، رغم انى عاملته كابنى تماما .
كانت أمه تكذب . فقد قست عليه ، ولكن أبا الوفا كان يحبه . فقد حمله أبوزيد صغيرا ، فوق كتفيه ودار به القرية .
اراد أبو الوفا أن يخرج من « السرايا » .. ولكن أباه صاح فيه غاضبا :
ـ قبل يد الباشا يا ابن الكلب .
أسرع الى الباشا قبل يده ،للان يشعر بملمس شفتيه فوق يد الباشا الكثيفة الشعر .

الح على ابيه ، ليستاذن الباشا فى اخذ الجريدة التى بها اسم ابوزيد ، اخذها بعد ذلك فرحا . يريها لامه ، تنظر الام الى الكلمات المرصوصة دون فهم شيء :

ـ ها هو اسم اخى .

قرأ لها ما فعله أبوزيد فى القبض على الخطرين . وشهادته امام المحكمة .

رأى صورته فى الجريدة يوما . أسرع بها من السراى الى البيت ، صاح :

ـ صورة أبوزيد اخى فى الجريدة اليوم .

فرحت الام كثيرا . رغم انها لا تحبه . قالت :

ـ فخر لنا . لعله يصيبنا من الحب جانب .

لهذا . اصر أبو الوفا ان يكون ضابطا مثله . اراد ان يسير فى نفس الطريق الذى سار فيه أبوزيد .

.. ..

نام أبو الوفا ، كان يهذى كالمحموم ، « ملك » ـ هى الاخرى ـ لم تكن قد نامت بالامس لهذا ، لم تسمع هذيانه .

رأى اباه ـ خولى الزراعة فى أرض الباشا ، يمسك فلاحا . والفلاح يرتعد .

ـ فى عرضك يا حسنين افندى . لم اخذ سوى عنقود واحد .

ـ عنقود واحد . مثل كرمة عنب . كله سرقة .

ذهب به الى الباشا :

ـ ضبطته يا حضرة الباشا يسرق العنب .

ـ والله ياباشا ، ما أخذت سوى عنقود .

ـ لو كل فلاح اخذ عنقودا . ماذا سيتبقى لى .

ضربه الخفراء يومها . وحملوه فوق الحمار . والعنقود معلق فى رقبته . طافوا به القرية كلها

.. ..

هب فزعا ، مازالت ملك تغط فى نومها :

ـ اللهم اجعله خيرا .

اى خير ، وهو ذاهب الى مكان جديد ـ بعد ساعات قلائل ـ

لا يعرف عنه شيئا .

دار فى الشقة .

أبوه هو الذى اشار على اخيه ابوزيد بأن يلتحق بمدرســـة الكونستبلات . ربما هذا ، لانه يود أن يقويه — أمام الباشا عندما يصبح أبوزيد ضابطا . فقد كان الاب يفزع عندما يرى الباشا رآه أبو الوفا يوما يأكل ، كان يجلس فوق مقعده ، والطعام امامه، فوق مقعد آخر . والولد شحاته — خادمه — يجلس على الارض بجواره .

هب حسنين فزعا ، لم يعرف كيف يتصرف ، أيستمر فى لوك الطعام . أم يحيى الباشا والطعام مازال فى فمه . كان يخشى فى الحالتين ان يغضب الباشا عليه .

أحس أبو الوفا يومها بمدى عذابه .

صاح الباشا :

— بسم الله ياحسنين . استمر فى اكلك .

ولكنه لم يستمر الا بعد ان مشى الباشا .

لم تنفعه مدرسة الكونستبلات . مات وهو ما زال يرتدى بدلته القديمة ، لم يتغير فيه شىء .

كسب أبوزيد كثيرا ، لكنه لم يرسل له مليما .

.. ..

كان كطفل صغير ، يذهب الى المدرسة مضطرا .

نظرت ملك اليه وهو يربط « رابطة عنقه » دون أن تحدثه .

قالت بصوت خافت جدا . لدرجة أنه لم يتبينه أول الامر :

— ستذهب بسيارتك ؟

— اجل .

عندما شرع فى فتح الباب ليخرج . أمسكت يده . كانت كمن يقول له « اذهب معك » لو كان ممكنا لاخذها معه ، فحتمــا كانت ستفيده كثيرا .

الطريق طويل ، مقر عمله السابق كان وســط البلد . دقائق معدودة ويصل اليه من بيته .

العمل الجديد فى « الطابية » مكان بعيد كان تابعا لمحافظة البحيرة منذ سنوات قلائل ، فهو أقرب اليها من الاسكندرية .

لم يقل له علوان باشا شيئا عن الشركة ، ســـوى انها شركة كيماويات .

الطريق مزدحم امام محطة النقراشى .

آه لو استطاع ان يعود ثانية . يعود الى أين ؟ الى ملك ؟ وماذا سيقول لها ؟

أيقول انه خاف من أن يواجه الموقف . رغم انه كان ضابطا ناجحا. شديدا فى معاملة المتهمين والجنود .

اقتربت السيارة من مبنى الشركة ، لافتـة معلقـة فوق المبنى «العاملون يرحبون بسيادة اللواء أبو الوفا حسنين » .
أعلن موظف كان يقف فوق السطح انه قد أتى .
أسرع صالح مجاهد لاستقباله ، لم ينتظر عبده رشوان وابراهيم زيدان .
سار أبو الوفا حتى الباب الكبير ، فتح له خفير الباب وحياه بحرارة .
لم يرد تحية الخفير ، يجب ان يكون شـــديدا معهم ، حتى لا يفشل . ما دام لا يفهم فى الكيماويات فليفهم فى الادارة ، والادارة ما هى الا الشدة والحزم .
اقترب صالح منه :
ـ أهلا سيادة اللواء . دكتور صـالح مجـاهد ، المدير الفنى للمصنع .
مد يده بتثاقل . ثم سار وصالح خلفه .
ـ نورت المصنع .
أحس بضيق وبرائحة عفنة ، رغم ان المصنع لم يبدأ العمل بعد .
اقترب عبده رشوان منه ، قال صالح :
ـ عبده رشوان المسئول المالى .
لم يمد يده ، أحس عبده بالاحراج ، فتراجع .
اجتمع العاملون فى الردهة الكبيرة ، ردد أحدهم :
ـ الرجل لا يضحك ابدا .
جلس أبو الوفا فوق مقعده ، تذكر مكانه فى مبنى الأمن والجنود ينظرون اليه فى فزع .
أحس بأن يده اليمنى قد عاودها الارتعـاش ، لمس بهـا زجاج المكتب . ونظر اليها .. كانت الارتعاشة واضحة .
لم يحس بارتعاشها ، منذ أن عادت ملك اليه بالامس .
قال :
ـ قال لى علوان باشا ان شركتكم ما زالت تحت التأسيس .

قال ابراهيم زيدان مبتسما :
ـ البركة فى سيادتك ...
قاطعه صارخا :
ـ لا تقاطعنى . اننى لم اكمل حديثى .
اكمل رغم انه كان يتمنى الا يكمل . يريد ان يهرب الى ملك :
ـ اريد ان اطلع على كل ملفات الشركة ، حتى أعرف ما حدث .
والا تصدر اية مكاتبات أو شيكات دون أن أوقع عليها شخصيا .
اومأ صالح برأسه :
ـ لقد قال لى علوان باشا انه سيحدث المسـئولين عن كل ما تحتاجون اليه .
احس صالح ان ابا الوفا لا يجد ما يقوله ، وانه يريد أن يشعرهم بانه على علاقة بعلوان باشا حتى يرهبهم .
قال صالح وهو يقوم :
ـ سأحضر لك الملفات .
صرخ فيه :
ـ لا . لا اريد شيئا . تفضلوا الآن . وعندما سأحتاج اليكم سأتصل بكم .
.. ..
قال عبده رشوان :
ـ انه لا يطاق .
ضحك ابراهيم قائلا :
ـ لقد صرخ بى بلا سبب .
احس صالح ان الموقف أسوأ مما كان يتوقع . فهو لن يستطيع التفاهم مع رجل مثل هذا .
صالح عبده :
ـ صالح ، ماذا بك ؟
ـ هذا الرجل من الممكن أن يدمر كل شيء .
صاح ابراهيم ضاحكا :
ـ لا شك أنه ليس عاديا .
ـ اننى قلق ، الاحوال فى البلد لا تشجع على اقامة مصانع قطاع عام ، لهذا كنت اريد أن نبدأ العمل بسرعة .
قال عبده :
ـ لو كانوا ينوون فعل شيء مثل هذا . ماكانوا فكروا ـ أساسا

— فى اقامة المصنع .
— لا تنس أن الموضوع معـد على الورق منـذ اوائل عام ٧٠ . ووقتها كان الامر مختلفا .
قال ابراهيم :
— لا أظن أن هناك عاقلا يفكر فى الغاء مشروع هام كهذا . خاصة بعد أن انفقت (الدولة) عليه مبالغ كبيرة .
اكمل عبده :
— كما انه سيوفر على الدولة عملة صعبة كثيرة ، تشترى بها المواد التى سينتجها المصنع .
— اننى أتوقع أشياء كثيرة غريبة فى هذه الايام .
اول من حدثته فى هذا ، هى « صفية منصور » ، عندما زارها فى مجلة المهد السعيد ، قالت :
— الامور لا تدعى للتفاؤل ، هناك محاولات لهدم كل ما فعلناه فى الستينيات . وأتوقع حـدوث أشياء مجنـونة . لن تخطر لك على بال .
ضحك صالح وقتها :
— تبالغين كعادتك .
لم تضحك ، قالت :
— حاولت أن أكذب نفسى ، ولكن ما حدث كان قاسيا .
— ماذا حدث ؟
— ليس مهما ما حدث . ولكن ما سيحدث ، ما رأيك فى زيارة نيكسون لمصر ؟
— خير ، علها تحول علاقتنا بأمريكا الى الاحسن .
— ستتكلم كالجهلة .
— صفية . ارجوك . أنا لست مستعدا لهذا الحوار .
— أمريكا لن تحل مشاكلنا . بل ستعقدها .
— ومصلحتها ؟
— الموضوع طويل ، هيا الى البيت لأشرح لك ذلك .
فى سيارتها الصغيرة ، قالت :
— بعد حرب ٦٧ ، كان اهتمام اسرائيل وامريكا . أن تعملا على الا يأتى ثانية من يحارب ويواجههم .
ضحك صالح ساخرا :
— دعك من هذه الافكار . اننى أحس أن السياسة قد تؤدى بك

الى « المارستان » .
صاحت غاضبة :
ـ صالح . أنا أتكلم عن موضوع هام . فدعك من السخرية .
لم يكن مقتنعا بما تقول :
ـ لكى يحدث ما يريدانه ، كان لابد من القضاء على كل قيم ومبادىء هذا الشعب . كما حدث فى الاندلس .
ـ وكيف سيفعلان هذا ؟
ـ سيكونون طبقة تحمى مصالحهما ، طبقة تفتنى بسرعة غير عادية ، وبأية وسيلة ، مهما كانت الوسيلة سيئة . حتى تتبنى هذه الطبقة الجديدة ذلك . بعد أن تكون قد سيطرت على كل شىء : اختيار الحكام ، وضع القوانين .. الخ . طبقة تحس أن العداء لامريكا واسرائيل عداء لها وللايينها .
أمسك صالح يدها :
ـ دعك من هذا الحديث ، فلقد بدات أخاف . انك تنسين أنوثتك دائما . العمل فى الجريدة واهتمامك بالسياسة ، ينسيك أنوثتك .
تنهدت :
ـ صالح . الموضوع الذى أحدثك فيه . أهم منى . ومن أنوثتى . ولن تحسه الآن .
.. ..
امتدت يد أبو الوفا الى التليفون . ارتعشت . وضعها فوق الزجاج . لا يجد ما يفعله .
اللوحات الفنية المعلقة على الحائط . تطل عليه فى عنف ، ولد صغير فى « الصورة » يخرج له لسانه .
أمسك سماعة التليفون :
« ملك » لعلها تدور فى الشقة الان . تنظفها .
لقد نظفتها بالامس امامه ، ماذا تراها تفعل الان ؟
ملك تحبه . أجل . لقد كانت قلقة من أجله .
لا . انهن يخفين خياناتهن بهذه الطريقة . يفرطن فى ودهن حتى يشغلن أزواجهن عما يفعلن .
أجل . هو رجل مجرب . قبل أن يتزوج عاشر الكثيرات . بعضهن كن يفعلن هذا مع ازواجهن وكن يحكين له عن هذا ساخرات .
دفع الاوراق أمامه . وأسرع الى الباب . وقفت السكرتيرة فجاة . ركب سيارته واسرع الى الشارع تابعته العيون دهشة .

لم ير سوى الطريق امامه .

« منذ ان رأت امه صورة اخيه ابوزيد فى الجريدة ، وهى تحلم بأن تراه ضابطا مثله ــ عندما يكبر فأنت اجمل واكبر منه حجما ــ رددت :

ــ ستكون خيرا منه .

حقا ، كان اكثر وسامة ، واكثر طولا .

ولكن ابا زيد كان شيئا آخر . تحدثت الصحف وقتذاك عن الدور الذى لعبه فى القبض على زكى شكرى ، الضابط الهارب من مصر . والذى اشترك فى الجيش التركى . ثم جاء الى مصر متخفيا . ليمد نورى بك (قائد المقاومة ضد الاحتلال الايطالى لليبيا) بالمعلومات العسكرية .

سمع أبو الوفا بعض الفلاحين ــ فى البلدة ــ يقولون عن اخيه انه يساعد الانجليز . لم يعبأ بقولهم . حكى لأمه فرحا عن الخطة التى رسمها ونفذها ليخدع زكى شكرى ومن معه .

.. ..

الطريق من الشركة الى المعمورة ضيق ، بجانبه ترعة صغيرة ، والسيارات تسير فى الاتجاهين وهــو يسرع بسيارته ، سيفاجىء ملك . انها مطمئنة لوجوده فى الشركة . ستقول لعشيقها « ان يطمئن فليس من المعقول أن يترك الشركة فى أول يوم عمل بها » .

ظنت الملعونة انه صدق ما فعلته معه بالامس . من ود واهتمام . لو فكر قليلا وقتها . لأدرك أنها تتصنع الحب والحنان ، فهى ما زالت فى عز عمرها ، فكيف تحب شيخا مثله .

أسرع الى الشقة . فتح الباب بمفتاحه ودخل متلصصا . حتما سيجدهما فوق فراشه .

فتح الحجرة المغلقة فى عنف . لم يجد شيئا . لعلهما احسا به وهو يصعد الدرج . أو وهو يركن السيارة أسفل العمارة . أجل . فهى تعرف صوت موتور سيارته . قالت له هذا من قبل .

نظر تحت السرير . لم يجد شيئا . خرج كالمجنون فى الردهة . احست ملك به . أتت من المطبخ :

ــ أبو الوفا . ماذا حدث ؟

حاول أن يخفى احساسه هذا . حاول أن يبتسم . اسرعت اليه . لمست جسده . نظرت الى وجهه :

ــ حدث لك مكروه ؟

صاح بضيق :

ــ كلا .

أمنيـــــة

كان يقرأ الجزء الذى كتبه والده من مذكراته . مرت الساعات وهو ما زال يقرأ . كان يجمع قصاصات الورق المهترئة من الجرائد والمجلات التى كانت تصدر وقت حدوث المذكرات :

« الوطن ، وادى النيل ، السفور ، الاهالى ، المقطم وغيرها » .

وحرص والده أن يكتب بعـد كل حادثة ، ما قالتـه الصحف والمجلات عنها . بل كان — فى بعض الاحيـــان — يكتب ما قالته الصحف والمجلات عن بعض الحوادث دون تعليق .

.. ..

دقت أمه الباب ، قالت :

— دعك من هذه المذكرات الان وتناول غداءك .

— لقدنسيت نفسى تماما وانا أقرأ .

سار خلفها ، جلس أمام المائدة فى الصالة ، قالت :

— أمينة اتصلت بك .

أمينة ؟ كيف نسى أن يفكر فيها طيلة هذه المدة .

.. ..

فى كلية العلوم عرف امينة . وجه آخر غير وجه صفية .

وجه شديد البياض ، مشرب بالاحمرار ، ولون شعرها يمتزج فيه اللونان : الاسود والاصفر . وعيناها واسعتان . زرقاوان .

غير صفية فى كل شىء . فصفية تتحدث فى السياسة والدين والمرأة والفن . وامينة تكاد لا تتحدث .

كانت تلميذته عندما كان معيدا . يجلس على المنصة يتحدث ، ينظر اليها طويلا فى اعجاب شديد . فيحمر وجهها خجلا . وتنظر الى أسفل فى استحياء .

بعد أن تخرجت ، وكان — هو — قد حصل على الدكتوراه . عينت معيدة فى الكلية ، عملا معا فى قسم واحد .

تبتسم فى حياء اذا ما قالت كلماتها القليلة .

انسته صفية « قابل صفية بعد ذلك كثيرا ، لم يحس برغبـــة

اليها . لم يعد يعجب بحديثها كان يقارن بينها وبين أمينة . أنوثتها الطاغية ، ووجه صفية الاقل جمالا » .
حاول أن يحدث أمينة فى أشياء أخرى غير العمل . كما كانت تفعل صفية ، ولكن أمينة تبتسم فى حياء . ويزداد وجهها احمرارا ثم تصمت .
فكر كثيرا فى هذا ، أيمكن ان يحب أمينة . رغم صمتها الدائم وحيائها الذى يشبه حياء الاطفال .
اراد ان يحدث صديقه « يسرى القاضى » الذى كان زميله فى الكلية الحربية ، والضابط الان ، ولكنه خاف أن يتهمه بعدم الاتزان ، قال لنفسه « لعل اهتمامه بها — فعلا — عدم اتزان أدى اليه طرده من الكلية الحربية . فاحساسه بأن طرده غير مقنع ، جعله لا يهتم بأى شىء جاد » .
لم يتحدث مع امينة فى هذا قط . فربما كان حبه اياها عارضا سيزول اذا ما عاد لطبيعته . وجاء يسرى القاضى لزيارته فى الكلية . ورآها . قال :
— جميلة جدا زميلتك .
قال صالح محذرا :
— يسرى .
— لا تخف ، لن افعل شيئا . احتراما لك وللعلم .
وانتهى هذا بأن تزوجها يسرى . ولديه منها الان ولد وبنت .. لا يدرى كيف تم هذا . وأين كان وقتذاك .
فقد سأله يسرى عنها بعد ان رآها — وهما سائران فى محطة الرمل :
— مخطوبة زميلتك التى رايتها فى الصباح ؟
— كلا .
— ساخطبها ، ما رايك ؟
كل مافعله — حينذاك — ان صمت بعض الوقت وبعدها قال شاردا :
للان . لم تحس انه أحبها . وأيضا لم يحس يسرى بهذا .
يزورها للان . يضع الطفلين فوق ساقيه . يقبلهما . تتابعه هى فى حياء . لم تزل كما هى لم يتغير بها شىء . كانت قلقة على زوجها أيام حرب أكتوبر ١٩٧٣
ذهب صالح اليها بعد اتصالها به تليفونيا . اخذ يهدئها . قالت :

ـ اخاف أن يحدث له مكروه .
وعاد يسرى . وولدت توأميها « سامح وحنان » واضطرت أن تترك الكلية ، رغم انها قطعت شوطا كبيراً فى اجراء ابحاث وعينات لنيل شهادة الدكتوراه .
قال صالح وقتها : حرام أن تضيعى كل ما تعبت فيه .
احمر وجهها حياء :
ـ انهما اثنان يادكتور . اثنان .
وضعت عيناتها فى دولابها . واخذت مفتاحه معها . وحصلت على اجازة عامين بدون أجر . على أن تعود لاستكمال دراستها .
.. ..
امسك سماعة التليفون واتصل بها . يود الا يترك البيت حتى ينتهى من قراءة مذكرات أبيه . فلعل الاتصال التليفونى يغنى عن الذهاب اليها :
ـ أهلا أمينة . كيف حالك ؟
أتاه الصوت قلقا :
ـ لابد أن أراك يادكتور صالح .
ـ حدث شىء ؟
ـ أريد أن أراك . الموضوع هام جداً .
لم ير زوجها ـ يسرى القاضى ـ منذ وقت طويل . زارها أكثر من مرة ، ولكن يسرى كان فى عمله بالجيش .
جمع قصاصات الجرائد ووضعها داخل الدفتر الكبير المدون به المذكرات . ثم وضع الدفتر داخل المكتب .
سار اليها . والمذكرات تطارده .

صفحات آخرى من مذكرات

« مجاهد عبد الراضى »

كنت أقوم بشراء شحنات الارز وأجولة الدقيق بمعاونة على منصور وحمدى شعراوى ، الذى توطدت علاقتى به بعد الانضمام للجمعية .
وكنا نرسل الشحنات الى الفيشة وكوم الحنش وابو المطامير .
وترسل من هناك الى طرابلس تحت حماية ملاحظى البوليس التابعين للجمعية .
فقد كانت طرابلس تقوم بحرب من أجل استقلالها بمعاونة الاتراك ضد الغزو الايطالى الذى تساعده انجلترا .
وكانت قوات طرابلس بقيادة نورى بك التركى ..
كنا نبعث اليهم بالضباط الاتراك والمصريين الذين يبغون مساعدتهم .
ومن هؤلاء البكباشى زكى شكرى .

زكى شـــــكرى

اتى زكى شكرى الى مصر من تركيا . وانزلته الجمعية فى عيـادة الدكتور اسماعيل حسنى « عضو الجمعية » على أنه مريض مقيم بعيادته . وكنت أسافر اليه من الاسكندرية . كى أتسلم منه الرسائل التى يرسلها الى نورى بك ـ داخل محفظة من الجلد ، احد مفتاحيها مع نورى بك والاخر مع زكى شكرى . وتقوم الجمعية بارسالها الى طرابلس بمعرفتها . وتتسلم كذلك الرسائل التى يرسلها نورى بك واتسلمها ، واذهب بها الى زكى شكرى فى العيادة .
وذات يوم ، بينما كنت فى الورشة . اتت فتاة جميلة . انيقة فى ملبسها :
ـ السلام عليكم .
وقفت ، ظننتها عميلة . تبغى الاتفاق على صنع هماميل . أو أى شىء من هذا القبيل .
ـ تحت امرك .
ـ كيف حالك يامعلم مجاهد .
شعرت بالخوف . من أين عرفت اسمى . احسست أول الامر

انها موفدة على من قبل الشرطة التى كانت تطاردنى فى هذه الايام .
لكنها قالت كلمة السر التى بينى وبين زكى شكرى . قالت :
ـ انا شقيقة زكى شكرى .
عندما جلست امامى . احسست بالتشابه الشديد بينهما .
ـ زكى ارسلنى اليك .
ـ لا تقولى شيئا الآن .
اسرعت الى التليفون . حدثت حمدى شعراوى . الذى يسكن البيت المواجه للورشة . قلت له أن يترك المدرسة حالا . ويأتى الى الهماميل . لامر هام .
اسرعت الى البيت . عندما رايت حمدى يدخله .
دخلت الشقة وهى خلفى . وكان حمدى فى انتظارنا . قلت :
ـ آسف . لانى لم استضفك فى بيتى . فهذا المكان اكثر امنا واكثر قربا .
كانت خجلى . تطبق اسنانها فوق شفتها السفلى « أومأت برأسها دون قول » .
رجوت حمدى شعراوى ان يعد لها غذاء ، فقد كانت قادمة توا من محطة القطار . قالت :
ـ اخى زكى يريد أن يقابلك لامر هام .
ـ حدث شىء ؟
ـ لا ادرى ، ولكننى لاحظت عليه القلق هذه الايام .
ـ سأسافر اليه .
بعد أن ارتاحت ، ودعتها حتى الباب ، قلت :
ـ لن استطيع ان اوصلك الى محطة القطار . حتى لا تشك الشرطة بك .
.. ..
لقد وصف أبوه سنية ، شقيقة زكى شكرى بحب ..
الوجه المستدير ، العينان الواسعتان ، والبشرة الشديدة البياض .
تذكر امينة . لعل والده احب سنية هذه ، مثلما يحب هو أمينة الان . العينان مازالتا تلمعان والشعر الذهبى ينسدل فوق الجبهة :
ـ اهلا دكتور صالح .
« معذرة فقد انشغلت عنك هذه الايام بالشركة ومذكرات ابى . ظننت انى قد نسيتك ، ولكن ها انا أضعف عندما اراك » .

ـ تفضل .

نفس الابتسامة ، كانت سنية خجلى ايضا . لا شك ان اباه كان رومانسيا مثله .

ـ كيف حال يسرى . لم أره منذ مدة طويلة .

أحنت رأسها ، يعرفها ـ هو ـ اذا ما غضبت .

كان يتابعها وهى تجلس امامه فى المدرج . وايضا وهى معيدة معه . ينظر الى عينيها فيعرف أن كانت سـعيدة أم أن هناك ما يشغلها .

ابتسم :

ـ ماذا حدث بينك وبين يسرى ؟

ـ يريد أن يترك الجيش .

ـ ماذا ؟ ان يحال الى المعاش الان ؟

ـ يريد أن يفتتح شركة استيراد وتصدير .

ضحك « كثرت شركات الاستيراد والتصدير الان ، كل عمـارة بها عدد كبير منها ، لن تكفى كل ماتنتجه مصر لتصـديره . ولو استوردوا ـ كلهم فعلا ـ فسوف يستوردون كل مافى العالم من بضائع »

ـ لا تحزنى . لعله غاضب من شىء فى الجيش الان . وغدا سينسى ماقاله .

ـ كلا . انه جاد فيما يقول . ويقوم الان بالاتصـالات لقبول استقالته من الجيش .

.. ..

ـ يسرى . لقد اشتركت في حرب اكتوبر .

ـ أولا : نحن نعيش فى فترة سلام .

ثانيا : ما سأقوم به ـ الآن ـ أعظم الف مرة مما فعلته فى حرب اكتوبر . مصر الان فى حاجة الى التجارة واقامة المشاريع . الا تقرأ الجرائد الآن .

ـ ربما ، ولكنك لا تفهم فى التجارة .

ـ بالعكس ، أستطيع ان اكسب اكثر مما تتوقع .

تدخلت أمينة على غير عادتها :

ـ يسرى . اننى لن أسمح لك بذلك .

ـ ماذا ؟!.

ـ من حقى أن ادافع عن نفسى ، وعن طفلى .

ـ يا امينة ، افهمي . كل ما افعله من اجلك . ومن اجل الطفلين.
لا استطيع ان ابقى فى الجيش ، والناس من حولى يكسبون بشراهة .
ـ يجب أن تعلم ، امام الدكتور ، ان أصررت على ترك الجيش .
فسأذهب مع طفلى الى ابى . حاول صالح ان يخفف من حدتها ، لم يستطع .
اسرعت الى حجرة اخرى . وظلت تبكى بصوت مرتفع .
ـ يسرى ...
صاح يسرى غاضبا ومقاطعا :
ـ لن أعود الى الجيش ، ولعلمك لقد قدمت استقالتى اليوم .
.. ..
قابلته أمه بابتسامتها . امه اسمها « سنية » .. أتكون هى فتاة أبيه التى كان يتغزل فيها فى مذكراته ؟
لم تحك امه له عن هذا . كانت تكره السياسة . وتردد دائما :
ـ لم أر من السياسة الا العذاب والقلق .
كما أن ظروف طرده من الكلية الحربية جعلته لا يتحدث مع أبيه فى هذه الامور .
يفكر طوال الطريق فى مذكرات أبيه ، وزكى شكرى . لقد تركه قبل أن يذهب الى أمينة . فى عيادة الدكتور اسماعيل حسنى ، أيمكن ان يكون زكى شكرى هذا خاله ؟!
.. ..
سافر والده فى قطار الحادية عشرة ، حتى يتجنب مراقبة رجال الشرطة له . اذ انه فى ذلك الوقت يكون المارة قليلين . ويظهر بينهم من يراقبه بوضوح .
وصل الى القاهرة فى الصباح . كان البواب نائما ولايزال الدكتور اسماعيل حسنى فى بيته .
فتح زكى شكرى الباب . تهلل فرحا عندما رآه :
ـ ادخل مسرعا . اننى سعيد بلقائك .
ـ ماذا حدث ؟
ـ ارسل لى نورى بك مبلغا من المال : راتبى والمصاريف النثرية و ..
ـ أجل . أجل .
ـ رآنى الدكتور اسماعيل افتح الحقيبة . عرض على ان أسلمه المبلغ ليحفظه فى « حزانته » فى بيته . ولما رفضت . تغيرت معاملته

لى . وبالامس قال لى ان أستعد للانتقال لشقته الاخرى . فى «جزيرة بدران» . متعللا بأن العيادة مراقبة من البوليس .
ـ وماذا تريد الان ؟
ـ ان تساعدنى لأسافر لليبيا .
ـ لماذا ؟ . من الممكن أن نجد لك مكانا اكثر امنا .
ـ اننى أحس بالغدر من الدكتور اسماعيل . كما أننى فى حاجة لمقابلة نورى بك . للاتفاق معه على بعض الامور .
ـ ما دمت مصرا على السفر . فسأرسلك الى عبد الله شوشان بكوم الاخضر .
ـ لا . أريدك ان توصلنى الى عزبتنا فى الفيوم . وهناك سأجد من يعاوننى على السفر الى الواحات . حيث تعسكر قوات نورى بك .
ودق جرس الباب بعد ساعة تقريبا . اسرع زكى ليفتحه . سمع مجاهد صوت سنية تحدثه وهى قادمة :
ـ لقد قابلت المعلم مجاهد عبد الراضى .
ضحك قائلا :
ـ ها هو مجاهد امامك .
رأى مجاهد نفس الابتسامة الخجلى فوق شفتيها . لم يطل النظر اليها . فقد كان مصرا على موقفه ، من أن يكون السفر عن طريق الكوم الاخضر .
ـ الشيخ عبد الله شـوشان زعيم قبيلة هناك . ومن رجالنـا المخلصين . ويعرف الطريق جيدا الى طرابلس . كما أنه سبق أن ارسل عددا كبيرا من الضباط الى هناك .
ولكن سنية أكدت قول أخيها :
ـ لا . فى العزبة هناك سيجد الكثيرين يساعدونه .
قلت :
ـ هناك خطورة من سـفره الى الواحات . حيث ان القوات الانجليزية متمركزة على الطريق وتقوم بتفتيش من تقابله .
عندما وجد مجاهد الاصرار منهما . اضطر الى أن يزعن لما يريدان.
.. ..
لقد جاء أبو الوفا الى الشركة فى وقت حساس ، كانوا قد إنتهوا من فترة الاعداد . وبدأت عملية تركيب الماكينات والمواسير الكبيرة التى ستجلب ماء البحر ، القريب جدا من الشركة . لاستخراج المواد الكيماوية منها .

لو لم يأت ابو الوفا . لبدأوا العمل الان .
لهذا ، ظل صالح ينتظره قلقا . فهومنذ ان ترك الشركة فجأة لم يأت . وتوريد باقى المعدات متوقف على الشيكات التى يجب أن يوقعها . وايضا الخطابات التى يجب ان ترسل . قال ابراهيم زيدان لصالح :
ـ من رايى ان تسافر الى رئيس المؤسسة وتشرح له الموقف .
لم يجبه صالح . أسرع الى حجرته الجديدة التى انتقل اليها منذ ان جاء ابو الوفا . جلس فوق المقعد الجلدى ، ومد ساقيه فى استرخاء .
ماذا سيفعل رئيس المؤسسة وهو يعلم أن وزير الصناعة نفسه ليس له سلطان على أبى الوفا .
دخل ابراهيم زيدان وعبده رشوان ، وجدا صالح شاردا . قال عبده :
ـ يجب ان تفعل شيئا . المشروع سيضيع هكذا .
قال صالح :
ـ هاتوا الورق والشيكات سأوقعها كما كنت افعل قبل ان يأتى .
نظروا اليه فى دهشة . ثم أسرعا ليأتيا بالاوراق .

أبو زيد حسنين

أبو زيد حسنين – اخي – استاذ للكثيرين من الضباط الكبار الان. مازالوا يحكون عن خططه فى القبض على المطاردين .

أتته الاوامر بأن هناك جمعية انشئت فى الفيوم باسم « **جمعية مساعدة ثوار طرابلس** » ، وذلك لمساعدة نورى بك فى الحرب ضد الايطاليين .

عرف أبو زيد – وقتها – ان رئيس هذه الجمعية شاب من عائلة غنية جدا فى الفيوم ، طالب حقوق ، اسمه احمد طايل ، وانه على علاقة بزكى شكرى الضابط المصرى الهارب من الخدمة ، والذى التحق بالجيش التركى ، ثم بقوات نورى بك .

وعد احمد طايل بمساعدة زكى شكرى ، وتسهيل سفره الى طرابلس ، ثم مساعدته بعد ذلك بارسال المؤن والذخائر اليه .

كان أخى أبو زيد ، يعمل مع انجرام ، مأمور الضبط .

ذهب اخى الى الفيوم ، وادعى انه ضابط هارب من الخدمة المصرية ، ويريد أن يسافر الى طرابلس لمعاونة الثوار هناك . واخرج بطاقة تثبت ذلك ، استخرجها له انجرام . وعرض ابوزيد على احمد طايل تدريب المقاتلين الذين يرغبون فى الانضمام الى قوات طرابلس وبدأ فعلا فى تدريبه على التصويب واستعمال القنابل . وبهر احمد طايل به وبمعلوماته عن البنادق والقنابل .

واتفقوا على الخطة ، ان يركب ثلاثتهم (زكى شكرى واحمد طايل وأبوزيد) ثلاثة من جياد احمد طايل ، ويهربون بها عند الفجر الى الواحات ، حيث تتمركز قوات نورى بك . فينضم زكى شكرى وأبو زيد الى قوات طرابلس ، ويقابل احمد طايل نورى بك . ليتفقا على خطط المساعدة ، ثم يعود ثانية – وحده – الى الفيوم .

اقام احمد طايل حفلا ، فى الليلة السابقة للسفر ، ابتهاجا بهذه المناسبة ، حضره كل أعضاء الجمعية (اتضح بعد التحقيق ، ان ابا زيد ، هو صاحب فكرة اقامة الحفل كى يتعرف على كل اعضاء الجمعية ، لتسهيل امر القبض عليهم) .

وعند الفجر ، ودعهم باقى الاعضاء ، وجرت بهم الجياد حتى حدود

الفيوم ، ورأوا طائرة تحلق فى الجو ، ثم تهبط قليلا ، وتعلو ثانية ، قال أبو زيد :

ـ لعلها مرسلة من قبل نورى بك .

واكد احمد طايل على قوله ، وتوقفوا عن السير ـ قال ابوزيد :

ـ فلنشعل نارا حتى ترانا الطائرة .

واشعلوا النار ، منتظرين أن تراهم الطائرة فتهبط اليهم .

واذا بسيارات الشرطة تحيط بهم من كل اتجاه .

ونشرت الصحف صورة ابوزيد ، وكتبوا عمـا فعله من خداع احمد طايل وزكى شكرى ،ثم صورته يوم أن وقف أمام القضاء يحكى لهم عما حدث .

.. ..

تنام « ملك » بجواره كملاك . الشعر الابيض يغطى وجهه . لم يحلق لحيته منذ يومين قضاهما فى البيت .

اتاه بعد لحظات أبوه الخولى وشقيقه ابوزيد . اطبقـا فوق صدره .

ابوزيد صار (ابوزيد باشا) بعد ذلك . وبعد ان كان تابعا لانجرام ، مامور الضبط . صار شريكا له ، فى رسم الخطط والقبض على المطاردين .

اتاه ببدلته الســـوداء ، وطربوشه الاحمر بلون الدم ، وحذائه الطويل الذى يصل لأسفل الركبتين . وابوه بمنديله الابيض المتسخ، تحت الطربوش المهترىء .

تقلب بجوار ملك ، طارده وجه أمه بعد ذلك ، وهى صبية ، تضع الكحل فى عينيها ، وتزيل الشعر الزائد فى الحاجبين . اغرت الخولى العجوز حتى تزوجها على ام ابوزيد .

ظنت امه انه قادر على أن يكون مثل ابوزيد ، تتحدث عنه الجرائد، وتذكر مغامراته .

زغردت عندما قبلوه فى مدرسة الكونستبلات . كان يرسل اليها مبلغا من المال . ولكنه ظل بعيدا . خاصة فى ايامها الاخيرة ـ كان ينتقل من محافظة الى أخرى .

ارسلت له خطابا :

ـ لا نريد نقودك . ولكن نريدك انت .

الى ان جاء التلغراف من رجل فى القرية ، بأنهـا قد ماتت .

حمل الكفن وسافر .

اطبق الثلاثة فوق صدره (أبوزيد وابوه وأمه) أراد أن يصرخ :
راى الفلاح الذى حملوه فوق الحمار ، وعلقوا عنقود العنب فى رقبته ، وزوجته وبناته خلفــه يبكين ، وأبوه الخولى يبرم شاربيه فرحا لضبطه .
اسماعيل ولده جاءه ، كان في أول الامر يقف طـويلا نحيفا . يبتسم ، شاربه خفيف ، لم يحلقــه قط . وعيناه نافذتان تنفذان فى ضلوعه .
شفتاه تحاولان التحرك فوق الفراش . لم يتمكن من التحدث ، مات قبل أن يقول شيئا .
مات متأثراً باحراج ابى الوفا له . أم من السرعة المجنونة !؟
لم يستطع أبو الوفا أن يستيقظ . اضطر الى أن يرمى نفسه من فوق السرير ، حتى يهرب من الكابوس . هبت ملك فزعة :
ــ بسم الله الرحمن الرحيم ، ماذا حدث ؟
اضاءت اللمبة الكبيرة ، رأته يتوجع من آلام ظهره . هبطت اليه :
ــ ماذا حدث يا « ابو الوفا » ؟
ــ كابوس .
نامت ثانية ، لم يعد هذا يثيرها ، فلقد اعتادت هذا منه .
قام من مكانه ، جلس فوق السرير ، ثم اشعل سيجارة .
.. ..
اغمض عينيه عندما وصل الى باب الشركة . كاد يصطدم بالجدار .
التفوا حول سيارته ، مدوا أيديهم :
ــ أهلا يا بك . حمدا لله على سلامتك .
لا يذكر أحدا منهم ــ حتى الثلاثة الذين اجتمع بهم ، واحس أنهم مهمون بالشركة ، نسى اشكالهم الان .
اقترب من حجرته ، ظهره ما زال يؤلمه من اثر وقوعه من فوق السرير ..
اتصلت سكرتيرته بصالح :
ــ لقد وصل يا دكتور صالح .
دخل صالح الحجرة والاوراق معه :
ــ صباح الخير .
نظر شذرا : أهلا .
حمدا لله على سلامتك .
ــ اظنك ...

ـ دكتور صالح مجاهد .
ـ طبيب ؟
ضحك صالح قائلا :
ـ دكتوراه فى الكيمياء الصناعية .
صاح أبو الوفا فى ضيق :
ـ أجل . أجل .
اخرج صالح الاوراق ، وضعها أمامه :
ـ سيادتك لم تأت . اضطررت ان اوقع الشيكات والخطابات ..
لم يكمل صالح . قاطعه هو :
ـ أجننت ، أتوقع شيكات وخطابات دون ان أراها .
ـ يا حضرة ...
ـ لن ادع هذا يمر بسهولة .
ـ يا بك . المشروع كاد يتوقف ، بضاعة مهمة ، يجب ان نتسلمها لنبدأ العمل .
ـ يتوقف المشروع ، ولكن لا توقع اوراقا دون ان اراها .
امسك بالتليفون .
ـ سأتصل بالنيابة .
ـ يا حضرة اللواء . الموضوع لا يستحق كل هذا .
دخل عبده رشوان وابراهيم زيدان :
ـ أهلا سعادة البك .
ـ ماذا تريدان ؟
قال ابراهيم :
ـ ورق متعطل . تريد سيادتك ان توقعه .
اشار اليهما بان يجلسا :
ـ تصوروا . الاستاذ يوقع على اوراق دون ان ينتظرنى .
اراد صالح ان يضحك . فقد كان أبو الوفا يتصرف وكأنه فى مسرحية كوميدية . اخذ يحرك يديه فى عصبية ، والرذاذ يتناثر من فمه .
قال عبده :
ـ لقد انتظرناك .
ـ حتى لو لم آت ابدا . لا تتصرفوا دون الرجوع الى . القرار الوزارى أعطانى الصلاحية للتوقيع باسم الشركة .
صمتوا جميعا ، ما زال يمسك بسماعة التليفون ، ماذا يفعل .

انه لا يريد أن يوقع على شيء . بل لا يريد أن يأتي اليهم أبدا .
ولكنه لا يجد وسيلة للشجار معهم .. ماذا سيقول للنيابة . أو الى اية جهة أخرى ؟!
بعد دقائق قال :
ـ سأتركه هذه المرة ، بشرط الا يعود ثانية الى هذا .
ضحك صالح عندما خرج ، ثم احس برغبة فى البكاء .

سنية شكرى

سال أمه :

ـ لماذا لم تحك لى عن خالى « زكى شكرى » ؟

بكت الأم :

ـ قلت لابيك لا يكتب عن هذا ، لا اريد أن اشاركك انت واخوتك فى هذا العذاب .

حكت له عما حدث بعد ذلك .

« بعد القبض على اخيها فى الفيوم زارهم مجاهد فى العزبة ، قابل امها وشقيقها وصفى ، كان واضحا للجميع أن مجاهد يهتم بها ثم علمت من اخيها وصفى ـ بعد ذلك ـ أن مجاهد قد قبض عليه ، وعلى كل من له صلة بمساعدة ثوار طرابلس ، أخذه جنديان ، وهو مكبل بالحديد الى الفيوم .

ـ استدعاه ـ هناك المحقق ـ « مفتش الداخلية » للتحقيق معه .

اجلسه أمامه . سأله عن اسمه وعنوانه ، وصناعته وبلده . الى آخر هذه الاسئلة التقليدية .

كان فى القاعة ـ غير المحقق وكاتبه ـ رجلان . احدهما انجليزى ، والاخر مصرى . يرتدى بدلة وطربوشا .

وجه المحقق اليه التهم الاتية :

- مساعدة الاعداء فى وقت الحرب .
- تهريب المؤن والذخائر والضباط الى طرابلس .

قال مجاهد للمحقق :

ـ قبل أن اجيب عن هاتين التهمتين ، اريد أن اعرف من هذين الرجلين ؟

زمجر الانجليزى ، وصاح الآخر :

ـ ما شانك أنت ؟

اجاب المحقق :

ـ انه مستر انجرام مامور الضبط ، ومساعده أبوزيد حسنين .

تذكر مجاهد دور الاخير فى خداع زكى شكرى واحمد طايل والقبض عليهما ..

قال :

ـ هذه تهم ، لو ثبت صحتها ، قد تؤدى الى موتى . او سجنى مدى الحياة . لهذا ، أرجو أن يخرجا . فقد يؤثرا على التحقيق بأن يعدا لى شهود اثبات . من خلال المعلومات التى سيسمعانها منى .

وقف المحقق . وتحدث معهما بالانجليزية . صاح ابوزيد وسب . واخذ ينظر اليه غاضبا

ثم نظر انجرام الى ابى زيد وقال :

ـ هيـا

خرجا ، وابوزيد ينظر اليه متوعدا .

بعد أن خرجا ، طلب المحقق من كاتبه بعض الاوراق من الحجرة الاخرى ، ثم قال فرحا :

ـ أنا معجب بشجاعتك . لقد ارحتنى منهما . ياه . انهمـــا كابوس .

سأله عن سبب ذهابه الى الفيوم . وعلاقته بزكى شكرى .

قال :

ـ أنا خطيب اخته .

ـ ما اسمها ؟

ـ سنية .

قال هذا مرتبكا ، ودون تفكير .

وسأله المحقق عن عبد الله شوشان ، الذى يسهل له نقل المؤن والذخائر والاشخاص الى طرابلس ، قال :

ـ هو عميلى ، أصنع له هماميل السواقى .

كتب المحقق . بحيث يبعد التهمة عنه .

.. ..

علمت سنية فى الفيوم . بما قاله مجاهد ـ فى التحقيق ـ من انها خطيبته .

وقد كانت امها وباقى الاسرة متعاطفين معه .

اخذوا سنية الى قسم الشرطة ، سألها المحقق ، ان كان مجاهد خطيبها أم لا .

قالت : اجل .

بعد أن قضى مجاهد فى السجن عدة شــــهور ، جاء اليهم فى الفيوم .

وكانت الاسرة كلها حزينة للقبض على زكى شكرى . رغم هـذا

عاملوه على انه خطيب حقيقى لسنية .

.. ..

جاءت امينة وطفلاها ، قبلتها أم صالح .

احس صالح أن هناك أشياء جديدة قد حدثت بينها وبين زوجها يسرى .

أسرع الطفلان اليه ، جلسا فوق ركبتيه .

قالت :

ــ لقد تركت البيت وذهبت الى أمى .

ــ انت عاقلة يا أمينة . حتى لو كان يسرى مخطئا فيجب أن تقفى بجانبه حتى يعود لرشده

ــ لا يادكتور . يسرى استأجر الشقة فى المنشية . واشترك مع ثلاثة من زملائه الضباط . واسسوا شركة استيراد وتصدير .

ــ والاثنان قدما استقالتيهما أيضا ؟

ــ أجل . وقبلت من الثلاثة .

قبل الطفلين :

ــ من اجل الطفلين باامينة .

صاحت مقاطعة :

ــ من أجلهما ، سأتركه ، لعله يفيق بعد أن أترك له البيت .

دخلت الام بالشراب ، حاولت أمينة أن تبتسم عندما رأتها .

سألتها الام عن يسرى

قالت :

ــ بخير .

بعد أن خرجت ، قالت :

ــ لقد جئت لاخبرك اننى سأعود الى الكلية ثانية ، ليس هناك داع للبقاء فى البيت . الطفلان سترعاهما أمى .

ــ خير ما فعلت ، انت فى حاجة ــ فى هذه الايام ــ لان تنشغلى بالعمل . وارجو أن تعودى الى أبحاثك وعيناتك . لتكملى الرسالة وتحصلى على الدكتوراه .

١٩١٤/١٢/٢٥

قامت الحرب العالمية الاولى ، بسبب قتل ولى عهد النمسا . ودخلت بريطانيا الحرب ضد المانيا ، وتركيا انضمت اليها .

وكان الخديو عباس حلمى يزور الاستانة فى ذلك الوقت . وكان ايضا معلوما لبريطانيا انه يميل للاتراك ، ويكره الانجليز .

لهذا ، اتخذ مجلس البلاط البريطانى ، بحضـور الملك يوم ١٩ نوفمبر ١٩١٤ قرارا ، بفرض الحماية على مصر ، وعزل عباس حلمى ، وتعيين حسين كامل ـ عمه ـ سلطانا على مصر ، وقبل حسـين كامل هذا ، وكان أول أمر اصدره ، هو أمره الى حسين رشـدى باشا بتأليف الوزارة ، بتاريخ ١٩ ديسمبر ١٩١٤ . وكان حسـين رشدى قائمقام الخديو عباس فى هذا الوقت ، ورئيس وزارته .

.. ..

وأدلى حسين كامل بتصريح الى مراسل التيمس بالقـاهرة يوم ١٩١٤/١٢/٢٢ ، هذا نصه :

« اننا لا نستطيع أن نفى بريطانيا حقها من الشكر على ما فعلته لمصر . وأننى موقن من زمان طويل ، بأن مصر وسائر الاقطار الشرقية فى احتياج الى الاوربيين »

.. ..

واعلن حسين رشدى يوم ١٩١٤/١٢/٢٤ لجريدة الوطن :

« ان مصر اذا فرض ، ولم تكن حاصلة على مساعدة ، او معونة انجلترا ، لوجب أن تفتش لها عن دولة قوية ، وصديقة ـ مثلها ـ « أى انجلترا » لتكون عونا لها » .

المؤلف

قررت الجمعية اغتيال كل من السلطان حسين ، وحسين رشدى باشا . وتم عقد العديد من الاجتماعات فى القاهرة والاسكندرية لوضع الخطة لاغتيالهما ــ واختيار الزمان والمكان لهذا . صنعت اللجنة الرئيسية بالاسكندرية ، قنابل من الديناميت ، وحشتها بحوالى ثلاثمائة قطعة من حديد كبس القطن ، بعد أن جربت انفجارها بالصحراء ، أمام بلدة واقد « بلدة أحد أعضاء الجمعية » .

وعرض اكثر من واحد ، من اعضاء الجمعية ، أن يقوم بتنفيذ الاعدام فيهما . ولكن اللجنة اختارت حمدى شعراوى ، وهو صعيدى من قرية « أبا الوقف » التابعة لمركز مفاغة بالصعيد . ويعمل مدرسا بمدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية . ويسكن فى البيت المواجه لورشتى بالهماميل .

الاحد ٢٣ يونيو ١٩١٥

أرسلت اللجنة الرئيسية بالقاهرة « أحمد صابر » عضو اللجنة ، ليستأجر بيتا بشارع رأس التين ، ستمر من أمامه عربة السلطان حسين كامل ، وهو فى طريقه من سراى رأس التين ، الى المسجد لصلاة الجمعة .

تم اختيار المنزل رقم ٩٩ ، لانه ليس به سكان فى الوقت الحالى ..

كما أن الشارع يضيق امامه . اذ أنه يواجه ضريح سيدى يوسف الجعرانى الذى يشغل جزءا من الشارع ، اذ لابد أن تمر عربة السلطان من أمام نافذة هذا البيت .

الثلاثاء ٢٥ يونيو ١٩١٥

بجوار باب البيت المغلق دائما ، دكان لحلاق ينوب عن أصحابه فى تأجيره لساكنيه .

اقترب أحمد صابر من دكان الحلاق .

ــ السلام عليكم .

كان الحلاق ينحنى على رأس زبون يحلقها :

ــ السلام عليكم ورحمة الله .

ــ لقد سألت عن أصحاب البيت ، فقالوا انك تنوب عنهم فى تأجيره .

هلل الحلاق فرحا ، فاذا ما تم الاتفاق على تأجير البيت .

سيكون له عمولته من أصحاب البيت ، وربما من المستأجر ايضا :
ـ أهلا . أهلا .
اتفقا على القيمة . واخبره أحمد صابر انه يستأجر البيت لصديق اسمه « محمود حلمى » سيأتى من السفر بعد عدة أيام ..

دخل حمدى شعراوى البيت ، رآه الحلاق . خرج من دكانه وهو يمسك المقص :
سيأتى من السفر بعد عدة أيام .
ـ أهلا محمود بك .
ـ أهلا بك .
المنزل متسخ . ودرجاته متآكلة . بعيدة عن باب البيت .
دخل حمدى الحجرة المطلة على الشارع . ليس بها أثاث . بلاطها معفر بالتراب ..
مسح بمنديله حافة النافذة . دخل الحلاق خلفه :
ـ معذرة . فالبيت متسخ ، سـآتى بزوجتى وابنتى لتنظفاه لك .
ـ أشكرك . سآتى بمن ينظفه .
استأذنه فى مقعد من دكانه . أسرع الحلاق فرحا وأتى بالمقعد .
صعد حمدى فوق المقعد ، جلس على حافة النافذة ، ضريح سيدى يوسف الجمرانى أمامه بابه مغلق ، يبدو من منظره انه لا يزوره أحد . يرددون اشاعات حوله ، بأن أحد المهندسين أراد أن ينقل جثمانه من مكانه ، وينقل الضريح ، حتى لا يسد الشارع . لكن يد المهندس شلت فى وقتها ، ولم تستطع الحركة . الا بعد أن أقر بذنبه ورجع عن قراره(١)

الاربعاء ٧ يوليو ١٩١٥

لابد أن يعد حمدى كل شىء . حتى اذا ما جاء يوم الجمعة يكون جاهزا .. لقد تدرب على اشعال القنبلة ، بأن يشعل فحما فى مدفأة . ويضع الفتيل فوق الفحم الاحمر ثم يسرع بالقائها .
ترك الحجرة ، صعد الدرجات المتآكلة . سار فوق السطح .

---

(١) تردد هذه القصة عن أضرحة اخرى مشابهة لسيدى يوسف الجمرانى ، كضريح سيدى ابى الدرداء بالاسكندرية

كانت هناك فتاة سمراء تنظر من سطح البيت المجاور . والذى لايفصل بينهما سوى جدار قصير .

عندما رأته أسرعت الى حجرتها ، فوق السطوح .

اهتم حمدى بالبيت الذى به الفتاة السمراء . نظر اليه جيدا . فبابه يطل على الشارع الخلفى ويمكن استخدامه عنـــدما يحاول الهروب ، بعد القاء القنبلة .

عندما هبط ، أتاه الحلاق ، أراد حمدى أن يعطيه مقعده . ولكنه اصر ان يبقيه عنده لحين يأتيه أثاثه .

ترك المقعد واغلق الباب وخرج .

.. ..

يعود حمدى الى الهماميل . ينظر الى ورشة مجاهد . يراه يجلس فوق مكتبه . يقرب منه ينظر كل منهما الى الاخر . انهما يتقابلان كثيرا بعيدا عن الهماميل . يجلسان فى قهوة البراميد بالمنشـــية . ولكن هنا ــ فى الحى ــ لا يتحدثان ، حتى لا يشك البوليس فيهما .. واذا ماصعد مجاهد الى شقة حمدى ، يجرى الى البيت ، ويدخله متلصصا .

ترك حمدى شعراوى قريته أبا الوقف ، وذهب الى الاسكندرية ، سبقه اليها خاله الذى يعمل ساعيا بادارة المعارف العمومية . بقى لدى خاله عدة شهور بلا عمل . حتى حدث خاله المدير الذى يجلس أمام بابه ، فى أمر ابن أخته . فعينه المدير مدرسا بمدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية .

فى أول اجازة له من المدرسة . ذهب الى « ابا الوقف » . قالت امه :

ــ خالك له افضال عليك . ولكى ترد جميله لابد أن تتزوج ابنته خضرة .

لم يتحمس لهذا ، ولكنه لم يعارض . انه حقا لم يخطر الزواج له على بال ، لكن لا بأس فخضرة ليست دميمة .

لكن بعد انضمامه للجمعية ، حمد ربنا ، لانه لم يحدث خاله فى امر الزواج . فقد كان يحلم بعمل كبير ، لهذا ، أصر أن يكون هو قاتل السلطان حسين ،وحسين رشدى باشا .. لم يسبق له عمل مثل هذا . ولكنه سينجح . فالعربة لابد أن تمر من تحت النافذة . كما أنه جرب القاء القنبلة ، وتمت بنجاح .

تذكر والده ، لقد ارسل له منذ ايام المبلغ الذى يرسله له شهريا . له :

ـ ماذا ستفعل يا أبى ، لو لم ارسل لك هذا المبلغ بعد ذلك .
ماذا ستفعل لو مت ؟

أشعل الوابور فوق المائدة القريبة من النافذة ..

انه لم ير الذى استأجر البيت ، ولا يعرف اسمه ، ولكنه يعلم انه سيدعى أن اسمه « محمود حلمى » للتمويه .

تذكر الحلاق واصراره أنه محمود بك . كان يود ان يسافر الى بلدته ليقابل امه واباه واخواته الخمسة ، فربما لا يلقاهم ثانية .

والده يعمل أجيرا فى الارض . تزوج امه ، رغم أنها ليست جميلة ، من أجل قيراط ونصف .. يزرعها الان . ويفخر بأنه يمتلك قيراطا ونصفا .

لم يتبق من الايام سوى الخميس ، وقريته بعيدة . تحتاج ليوم سفر كامل .

الخميس ٨ يوليو ١٩١٥

دخل المنزل ثانية . كانت معه حقيبة جلدية صغيرة بها ثلاث قنابل ومدفأة ، ولفافة صغيرة بها الفحم .

كان دكان الحلاق مغلقا . لعله ذهب ليحلق لزبون فى بيته . نفض التراب عن مقعد الحلاق ووضع الحقيبة فوقه . ثم اغلق الحجرة بالمفتاح . ودار فى البيت ، ثم صعد لاعلى ، راى الفتاة التى رآها بالامس . تضع طستا فوق السطح . وتفسل بعض الملابس . عندما رأته هبت واقفة . واسرعت الى حجرتها .

ابتسم ودار فوق السطح .

.. ..

زار خاله فى المساء ، نظرت زوجة خاله الى ابنتها خضرة . فهمت البنت مقصدها ، أسرعت الى الحجرة الاخرى ، خلعت جلبابها القديم المتسخ ، وارتدت جلبابا جديدا ، ومشطت شعرها . ونظرت الى المرآة الصغيرة المعلقة بجوار السرير . وعادت ثانية الى مكانها ، دون أن تنظر الى حمدى .

سأله خاله عن المدرسة . وعن الناظر والمدرسين وقال له :

ـ لو تعبك احدهم ، قل لى ، كلهم يحتاجون الى البك المدير الذى اجلس أمام بابه .

قدمت خضرة له الشاى ، واقسم خاله ان يتناول العشاء لديهم .

ولكنه اعتذر . كان متوترا . لا يستطيع أن يستقر فى مكان . كما انه اراد ان ينام مبكرا .
عندما خرج من بيت خاله ، اخرج علبة دخانه ، لف سيجارة . فهو لا يستطيع ان يدخن امام خاله . عندما كان يعيش معهم ، كان خاله يذهب الى الحجرة الاخرى ، بعد الاكل ، ليدع له الفرصة ليدخن . وكان حمدى يضطر – احيانا – ان يدخل دورة المياه ليدخن فيها ، اذا ما اطال خاله المكوث فى الحجرة .

الجمعة ٩ يوليو ١٩١٥

استيقظ حمدى مبكرا ، تناول سيجارة مع كوب شاى أسود ، لم يجد رغبة فى تناول الطعام .
ارتدى ملابسه وخرج ، سار حتى شارع الخديو . استقل تراما حتى شارع راس التين .
دكان الحلاق مغلق ، لعله يتأخر فى فتحه يوم الجمعة . جلس فوق المقعد ، اخرج القنابل الثلاث ثم افرغ الفحم فى المدفاة الفخارية .
ذهب الى آخر الحجرة . بعيدا عن القنابل واشعل عود ثقاب ، ليشعل الفحم . لكن الفحم لم يشتعل . اشعل عود ثقاب آخر . وايضا لم يشتعل .
الفحم فى حاجة الى كيروسين . لن يشتعل بغيره . خرج من الحجرة ، ايخرج بالمدفاة الفخارية ، ليسال عن كيروسين !؟
انه لا يعرف فى الشارع سوى الحلاق . والحلاق ليس موجودا ، كما انه لا يصح أن يخرج بالمدفاة حتى لا يثير انتباه الناس .
جلس فوق المقعد ، زفر بضيق . ثم اشعل سيجارة .
« لماذا لا يشعل القنبلة بالسيجارة . أجل . السيجارة المشتعلة تعمل عمل الفحم الاحمر .
احس برغبة فى شرب كوب شاى ، لقد تعود شرب الشاى منذ صغره . امه كانت تضعه له وهو طفل ، عندما فطمته .
فكر فى الخروج الى الشارع . يجلس فى المقهى . يشرب شايا ويشترى كيروسينا ، ولكنه احس بسخافة فكرته ، فلو خرج سيحس به الناس .
ظل ينظر الى الشارع من خلف شيش النافذة المغلق ، تابع ضريح سيدى يوسف الجعرانى ، طلاؤه تساقط ، والمياه الضحلة تحيط به .
ماذا سيفعل بعد أن يلقى بالقنبلة ، ايستطيع الهرب ؟ ليس مهما

ما سيحدث بعد ذلك ، المهم ان يموت السلطان حسين ورئيس وزرائه. كما أن الهرب ليس صعبا ، فكل شيء مجهز بعناية .

.. ..

عند الانتهاء من خطبة الجمعة ، فتح حمدى النافذة ، ثم جلس فوق حافتها . ووضع قدميه فوق المقعد . لم يلتفت اليه احد . فالنساء مشغولات بطهو الطعـام لأزواجهن . والازواج فى المساجد يؤدون الصلاة .

وسمع جلبة ، وجنودا يسرعون :

ـ السلطان .. عربة السلطان آتية .

اشعل سيجارته ، سحب نفسين منها ، وحمل القنبلة ، اخفاها تحت حافة النافذة . ثم دس السيجارة المشتعلة فى فتيلها . عندما اصبحت العربة تحت النافذة تماما . القى القنبلة ، والقى السيجارة فوق ارض الحجرة . واسرع الى الدرجات المتآكلة . كادت درجة متآكلة توقعه وهو يسرع .

.. ..

لاول مرة لا يجد الفتاة التى تسكن السطح . اسرع وقفز الجدار القصير . فتحت الفتـــاة حجرتها فزعة عنـدما ارتطم بالارض . دهشت لرؤيته .

كان متوترا . لم تدخل حجرتها ككل مرة . بل ظلت تتابعه . اراد ان يحيها ، ولكنه لم يستطع . اسرع الى الدرج . سمع فى الدور الارضى امرأة تتحدث مع زوجها بصوت مرتفع . فقد كان صوت الوابور عاليا أيضا .

اسرع الى الشارع الضيق . لا يدرى ان كانت القنبلة انفجرت ام لا . فهو لم يسمع انفجارها . لكن يمكن أن تنفجـــــر دون أن يسمعها . فقد كان مشغولا بمسألة هروبه .

ظل يسير حتى شارع « التوبج » ثم استقل عربة حنطور حتى بيته فى « الهماميل » .

فى العربة أغمض عينيه . نظر اليه السائق ، ظنه نائما .

الشك مرة اخرى

عاد أبو الوفا ، فتح باب الشقة ، أسرع الى « ملك » .. دار في الشقة ، لم يجدها . ماذا حدث ؟ .. أين ذهبت ؟

أحس باعياء ، جلس . ذلك دليل لا يقبل الشك فى خيانتها . انها لم تكن تظن انه سيعود فى هذا الوقت .

سمع صوت اقـدام تصعد الدرج . أسرع الى الباب فتحه . وجدها تصعد الدرج بالملابس التى ترتديها فى البيت . (البنطلون والبلوزة القديمة ، وشبشب المنزل) وتعقد شعرها بايشارب .

صاح بها ، وهى بعيدة عنه :

ـ أين كنت ؟

ابتسمت قائلة :

ـ لقد طلبتنى جيهان جارتنا . التى تسكن ...

لم تكمل :

ـ اتظنيننى ابله . مع من كنت ، أجيبى .

أسرعت اليه :

ـ أبو الوفا . ادخل شقتنا ، وقل ما تشاء ، فلا يصح .

ـ لن تكون شقتك من الآن . سأطردك منها ، اذهبى .

ـ ارجوك . الجيران يسمعون قولك .

ـ انني اقصد هذا . حتى يعلموا ، ويعرفوا حقيقتك .

بكت :

ـ لا اريد ان ادخل . ولـكن كف عن قـولك هـذا . أعطنى ما استطيع به الذهاب الى أخى .

ـ لن أعطيك شيئا . اذهبى اليه هكذا .

ثم اغلق باب الشقة خلفه .

صعدت جيهان اليها ، قالت :

ـ تعالى الى شقتى الان .

بكت :

ـ انه ما عاد يطاق .

سارت معهـــا . احست بوجوه تطل من خلف شراعات الابواب الموارية .

قالت جيهان :

ـ ـى لدى ساعة او اكثر . حتى يهدا .

ـ لا . سأذهب الى اخي . لن استطيع احتماله بعد ذلك .

ارتدت ملك ملابس من ملابس جيهان . وذهبت الى بيت اخيها .

قال لها محمود :

ـ قلت لك ، لم تصدقيني .

ـ كنت اظن انى سأستطيع ان ارجعه الى ما كان عليه .

ـ الكل يعلم ان موت ابنه دمره .

كثيرون قد ماتت أولادهم . ولم يحدث لهم ما حدث لابى الوفا .

.. ..

بعد أن أغلق ابو الوفا الباب خلفها . ارتمى فوق المقعد . ما زال فى ملابسه التى أتى بها من الخارج . لم يحس برغبة فى البكاء . انما الدموع فاجأته ، دون سابق انذار ..

هبطت ملك الدرجات بملابس البيت . أتستطيع أن تذهب الى بيت أخيها هكذا ؟!

لا . لعلها ستعود ثانية الى عشيقها .. انه فى العمارة لا شك . لابد أن يعرف من هو .

عندما عرض نفسه على طبيب نفسانى . سأله عن هذا . قال الطبيب :

ـ قل لى ، هل كانت لك علاقات جنسية مشبوهة قبل الزواج ؟

ـ اجل .

ـ لعلها . أحد العوامل .

اجل . لعلها صادقة ، وكانت حقا لدى جيهان جارتها . لقد أهانها أمام كل سكان العمارة . لن تنسى لى هذا .

وربما لن تأتى الى بيته ثانية . ايعقل هذا . أيستطيع ان يبقى فى هذا المكان دونها .

.. ..

ـ ملك . أبو الوفا فى الخارج يريدك ، وانا اعرف حالته اكثر منك .

ـ لن اكون عالة عليك . سأعود اليه . وسأتركه بعد ان اكمل تعليمى .

ـ لا تهتمى بشىء . بيتى مفتوح لك .

ـ لا . سأذهب معه .

.. ..

تبتعد ملك عنه الان . الكل يذهب .. اسماعيل وعزيزة امه وعلوان باشا .
لقد رآه علوان فى النادى ، فتظاهر بعدم رؤيته . وعندما أسرع لمقابلته ، وجد سيارته قد اسرعت . وكلمـــــا اتصل به . يقولون « انه غير موجود » .
بعد أن مات اسماعيل . احس بانه جبان . جريه خلف العائلة بأكملها فى البلدة ، لم تكن شجاعة . انما كانت رغبة فى الشجار . لا اكثر . فلو كان شجاعا حقـــا . لانتحر وارتاح بعد موت ابنه هكذا ...
تتحرك ملك امامه كالغزال . لم تعد تتحدث معه الا قليلا .
اقتربت منه . قالت فى وجوم :
ــ أبو الوفا .
احس بالفرح . فها هى ستعود ثانية الى ما كانت عليه .
ــ اجل يا ملك . تحت أمرك .
ــ سألتحق بكلية الآداب .
ــ الآداب ؟!
ــ اجل . لقد تركتها من اجلك . وسأعود اليها ثانية .
لم تنتظر حتى تسمع رايه ، فقد قالت « سألتحق » . لم تطلب منه تصريحا . ماذا سيقول لها . لقد حمد ربنا لانها وافقت على أن تعود . أسرع اليها ، قال :
ــ موافق يا ملك ، وسأساعدك بكل ما استطيع .
لم تجبه . كانت تطلى اظافر قدميها امام المرآة . اقترب منها اكثر :
ــ سآتى بخادمة لك لتساعدك . لتتفرغى للمذاكرة .
ــ لن تستطيع اى خادمة أن تتحملك .
لم يغضب لقولها . قال وكأنه لم يسمع :
ــ سآت لك بشحاتة العجوز . كان يعمل مع والدى فى ارض الباشا . انه قوى رغم كبر سنه ، ماذا ترين ؟
مطت شفتيها ولم تجب .
كان شحاتة العجوز يأتى الى مكتبه . فى عمله السابق . وكثيرا ما اعطاه ابو الوفا نقودا . وســـــاعده فى قضاء اعمـــال له فى الاسكندرية .
انه يكبر أبو الوفا بأعوام قليلة . وكان خادما لأبيه . يشترى له

طعامه ، وطعام امه من السوق .

وتدفع اجرته من دائرة الباشا .

يجلس بجوار ابو الوفا . يقرا ابو الوفا له الجريدة . يشير له على صورة ابوزيد . يشد منه الجريدة :

ـ دعها لى يا « ابو الوفا » . اريد ان اتملى من رؤية وجهه ، فقد كان يتحدث معى كثيرا ، فكيف يضعونه ـ الان ـ فى صدر الجريدة.

كانوا يتحدثون فى الجريدة عن حادث رمى القنبلة على السلطان حسين فى الاسكندرية .

انجرام مأمور الضبط ، وأستاذ اخى وسيده ، يطوف مع اخى المحافظات ، بحثا عن المشاغبين والعصاه .

الحلاق يقول ان الذى استأجر منه البيت ، رجل لا يعـــــرف اسمه . ولكنه اجر البيت لآخر . اسمه محمود حلمى .

امسك انجرام عقد الايجار . المستند الوحيـــد لديهم ، لادانة الجناة . لأبى زيد :

ـ اعمل نشرة بصورة زنكوغرافية لتوقيعه ، وعلقها على الجدران وارسلها الى الوزارات والمصالح فقد يكون مستخدما هناك ، فيتعرفون على توقيعه .

دار ابوزيد وهو يمسك العقد . وجد « عقب » سيجارة ، ملقى بجوار القنبلتين اللتين لم تلقيا . انحنى وامسك عقب السيجارة .

كان انجرام مشغولا بمتابعة درج البيت . نظر اخى الى عقب السيجارة ، وجد به ثلاثة حروف « ح ش » . خرج مسرعا الى انجرام :

ـ انظر يا سيدى .

ضاق به ، ماذا سيفعل بعقب سيجارة فى هذا الوقت ؟!

ـ انظر هذه الحروف .

تابع انجرام الحروف وصاح فرحا :

ـ لابد انها تمثل اسم الجانى .

صعدا معا الدرج . رايا سطح المنزل المجاور . الذى يفصل بينه وبين البيت الاخر جدار قصير . صاح انجرام :

ـ لو كنت مكانه لقفزت الى هنا ، وهربت من الشارع الخلفى .

دقا باب الحجرة الوحيدة فوق السطح . اطلت الفتــــاة اليهما فى خوف . ابتسم انجرام :

ـ اتسمحين لنا بالدخول .

لم يكن اخي ودودا فى معاملة الناس مثله .

دخلت الفتاة دون أن ترد . عادت الى الخلف بظهرها ، جلسا فوق كنبة عربى . مغطاة بملاءة بيضاء ، مرتبة . الحجرة كلها مرتبة ومنظمة .

قال انجرام « كان يغضب اذا ما بدأ أبى الحديث » :

ـ لقد قفز شخص من البيت المجاور لبيتكم .

قالت الفتاة فى خوف :

ـ متى ؟

ـ بعد صلاة الظهر مباشرة .

ـ لا . لم أره . كنت فى السوق وقتذاك .

صاح أخي بها :

ـ بنت . قولى الحقيقة .

ارتعدت . تراجعت الى الخلف بمؤخرتها . وهى ما زالت تجلس فوق الارض :

ـ لا تغضب الفتاة هكذا .

(لم يكن انجرام صادقا فيما يقول . فهذه طريقة نتبعها فى المعاملة عامة فى الشرطة ، فاننا نعلم دائما الشرطيين السريين . بأن يسير كل اثنين منهم معا . واحد منهما يتظاهر بالقسوة ، فيهدد ويسب ويضرب احيـــانا . والآخر يتودد ويمنى . ويحاول منع زميله من السب والضرب . وبهذه الطريقة يتحقق للمتهم الجانبان : الترهيب والترغيب) .

ولكن الفتاة لم يصلح معها شيء . فقـد أصرت على قولهـــا . وخرجا من حجرتها غاضبين .

جمع أخي رجاله . جعلهم يطوفون على محلات الورق البفرة ، الذى يستخدم فى لف السجائر . وكانت كثيرة فى هذا الوقت .

من كثرتها ، يحاول كل منها ان يكسب عملاءه ويغريهم . فواحد يكتب أبياتا من الشعر والزجل . أو الحكم والمواعظ . على كل ورقة . وآخر يكتب الحروف الاولى من اسم كل عميل مع الاتفاق معه على الكمية التى يطلبها .

وتوصل احد رجال المباحث . الى صاحب المحل . فقبض عليه . واعترف أن هذا الورق قد صنعه خصيصا من أجل عميل اسمه حمدى شعراوى . يعمل مدرسا بمدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية .

صفية منصور

توقف العمل تقريبا فى شركة الكيماويات الجديدة ..

أبو الوفا لا يأتى الا قليلا . واذا جاء لا يفعل شيئا . سوى متابعة الجدران ، والمناظر المعلقة فوقها .

أكد بعض السعاة بأنه رآه يحدث نفســه يوما ، وآخرون رأوه يحدث صورة معلقة .

سافر صالح الى القاهرة ، قابل رئيس المؤسسة الكيماوية ، شكا له حال الشركة . قال الرجل :

ـ لا استطيع شيئا . يمكنك ان تقابل وكيل وزارة الصناعة . انا لا استطيع أن أقامر بعمرى كله فى العمل من اجلكم .

مكتب وكيل وزارة الصناعة فى نفس المبنى الذى به المؤسسة . ذهب صالح اليه ، قالت سكرتيرته :

ـ هو فى أمريكا الان . ولن يعود قبل آخر الشهر .

.. ..

ذهب الى مبنى مجلة « العهد السعيد » التى تعمل بها صفية .

حجرتها صغيرة ، المكتب صغير ، وثلاثة مقاعد أمام المكتب . وملصقات فوق الجدران تتحدث عن المكاسب الاشتراكية للشعب . وصورة لعبد الناصر .

خرجت صفية سعيدة من مكتبها :

ـ صالح . أهلا بك .

جلس فوق المقعد ، قرأ الملصقات مبتسما :

ـ لماذا تبتسم ؟

ـ لم أر هذه الملصقات فى المرات السابقة .

ـ أجل . احسست ان الناس نسيتها ، وأردت أن اكتب عنها فى المجلة ، لكن رئيس التحرير رفض نشرها . فاكتفيت بلصقها فوق الجدران .

وضحكت بصوت مرتفع ، ثم اخرجت سيجارة وقالت :

ـ للآن لا تدخن . أليس كذلك ؟

ـ أجل .

ـ فى مهمة تابعة للشركة ؟

ـ اجل .
ـ ماذا فعل رئيس الشركة الجديد ؟
ـ لا يريد ان يعمل ، ولا يريد أن يتركنا نعمل .
ضحكت :
ـ وجئت تشكوه ، فلم يستجب لك احد .
ـ اجل .. من ادراك ؟!
ـ ذلك شيء طبيعي الان . كل الامور تسير الى الاسوأ .
ـ بدات اثق فى حديثك عن الخطة التى تنفذ الان لانهاء مقاومة هذا الشعب . وقتل القيم فيه .
ـ اجل . لكن لابد من مقاومة هذا المخطط .
ـ افكر فى نشر مذكرات ابى ، ماراىك ؟
خرجت من خلف مكتبهـا ، جلست امامه . احست بأنه تغير قليـلا :
ـ فكرة عظيمة ، جئت بالمذكرات معك ؟
ـ اجـل .
ـ لابد من وجود ناشر لها .
ـ ومجلتكم ؟
ضحكت :
ـ مجلتنا لا يهمها هذا . لن تنشرها لك سوى مجلة خاصة ، مازال صاحبها بعيدا عن المخطط الذى حكيت لك عنه .
حملت حقيبتها :
ـ لن اطلب لك مشروبا . لانك ستأتى معى للبيت ، لتتنـاول الغداء معى .
.. ..
ركب سيارتها الصغيرة ، ذات الباب الواحـــد . قالت وهى تضحك :
ـ تصور ، رئيس تحرير مجلتنـــا ، الذى تريده أن ينشر لك مذكرات ابيك الوطنية ، يشارك عددا من الفرنسيين فى اقامة بنك فى مصر .
لم يجبها ، قالت ثانية :

ـ لماذا لا تبقى معى يومين او ثلاثة . احس انك متاثر بما جرى فى شركتك .
ـ اجل . انا فى حاجة لان ابتعد عن كل الاماكن التى اعيش فيها الان . الشركة ، البيت ، كل شىء .
ـ وامينة ؟!
قالتها بخبث ، تظاهر بعدم الفهم ، قال :
ـ تصورى ، زوجها قدم استقالته من الجيش ، وافتتح شركة استيراد وتصدير ، لا ادرى ما الذى سيستوردونه ، وما الذى سيصدرونه .
ـ ذلك أمر عادى ، انظر الى المقاهى الكبيرة فى القـــــــاهرة والاسكندرية ، كلها تحولت الى بنوك وشركات استثمارية . حتى أصحاب الفيللات اقاموا مكان حدائقهم بوتيكات .
.. ..
دخلا معا . الزهور فى حديقة الفيللا يانعة . والارض خضراء :
ـ من يعتنى بالحديقة ؟
ـ انا .
ـ وحدك ؟
ـ اجـل .
خلعت ملابسها وارتدت بيجامتها . جسدها لم يمتلىء أبدا .
ـ صفية . سعيدة فى حياتك ؟
ـ ماذا ترى ؟
ـ لو كانت واحدة غيرك لضجت . ولم تستطع ان تكمل .
ـ تقتربين من الاربعين الان . ولم تتزوجى . كما انك تعيشين فى هذه الفيللا وحدك .
ـ بل احس احيانا انى وحيدة ، رغم وجودى بين الناس .
اقتربت منه ، جلست على حافة المقعد المجاور له :
ـ مثلا ، فى المجلة التى اعمل بها . اشعر احيانا انى وحيدة . واننى اتحدث لغة لا يفهمها سواى .
« لقد رغبت فيك يوما ، قبل أن اعرف امينة ، وقبل ان افصل من الكلية الحربية ، بسبب ابيك ، لكن الان ، لا أعرف ما أريد . احب أن أرى أمينة ، مازلت ارتاح لرؤية وجهها الجميل .. ولكننى لم افكر فيها جنسيا ابدا . ولكن انت ...
مد يده ، وضعها فوق يدها . انك اكثر ثقافة منى انا ، وامينة

لا تجيد الحديث في اي شيء .

ــ السنون تمر ياصفية ويجب أن ...

وضعت يدها فوق يده :

ــ ارجوك ، دعنا من الحديث عنى . فذلك لا يروق لى .

كأن يدها وضعت فوق فمه ، لا يده . فكف عن القول .

ــ قم ،وارتد بيجامتك .

ضحك . فقد اتى يوما ببيجامته من بيتهم . على انه سيقضي ليلته فى « فندق » ، لكنها غضبت ، واصرت أن ينـام فى الفيللا . واخذت منه البيجامة وابقتها عندها ، حتى اذا ما جاء ، يرتديها . تغسلها بعد أن يذهب ، وتكويها له .

.. ..

ذهبت لتأتى له بالبيجامة .

هو الوحيد الذى يتحدث معها فى هذه الامور . السن ، الانوثة ، الزواج .

لا تسمح لسواه بالخوض فيها .

تتظاهر بانها سعيدة . يظن زملاؤها فى المجلة . ان انوثتها لا تمثل لها مشكلة ، وان السياسة والصحافة قد انسياها أن تفكر فى شيء آخر سواهما .

لكنها لم تنس انوثتها ابدا . فى كثير من الليالى ، تطفىء أنوار الفيللا . وتشعل مصباحا موضوعا ــ خصيصا ــ فوق مرآة كبيرة . وتتعرى ــ تكشف عن جسدها كله . تتابعه فى المرآة بالساعات .

كانت تحس بالبرودة فى الشتاء . فأتت بالدفايات ، ووضعتها حول المرآة .

ولكن مع صالح تنسى نفسها .

احبته وهو مازال صغيرا . عندما كان يأتى مع أبيه لزيارتهم ، كانت تنسى كل شيء سواه .

تريه ازهارها « مازالت تفعل معه هذا للان » . تريه ملابسـها الجديدة ، قططها .

قالت امها عندما راتها هكذا :

ــ لولا انك اكبر منه بعامين ، لصلح لك زوجا .

السنوات تمر كثيرة ، كثيرة ، وهى كما هى . بلا زوج . وهو الاخر بلا زوجة .

تسعد عندما يزورها بالمجلة . تنسى ملصقاتها .

تردد لنفسها — احيانا — انها لو تزوجته ، ما استطاعت أن تحقق ما حققته من شهرة — الان — فى الصحافة . كانت ستظل تحدثه هو فقط . وتظل تنظر اليه دون ان تفعل شيئا . ولو كتبت ، فستكتب عن وجهه وحديثه وابتسامته .

تقرأ فى المساء كثيراً . تحس انها لا تســـتطيع أن ترى بنظارتها الطبية ، تدعك عينيها ، تحس بصداع فى المساء . تنتظره ، فهو أمر مألوف لديها .

تسرع الى اجزخانتها ، تخرج اقراصها المنومة .

عند أول استعمال لتلك الاقراص . كانت تنام مسرعة لاقل جرعة . وظلت الجرعات تزداد . حتى حذرها الاطباء من خطورة هذا . ولكن ماذا تفعل . وهى تكاد تجن من الارق . ومن الرغبة فى رؤية جسدها . والتفكير فى المخطط الذى يبغون به قتل كل مقـــاومة ، ومذكرات أبيها .

حدثها صالح عن امينة . لم ترها للان . ولكنها تظن انها ستعرفها ، لو رأتها ، من كثرة ماقاله صالح عنها . ومن كثرة التفكير فيها .

لم تشعره أبداً بالضيق من حديثه . رغم أنها كانت تبكى بعد ان يتركها .

ارادت أن تبدو قوية امامه . ليست هى التى تغار من اجل رجل . ماذا لو أحس بانها تغار . ماذا سيقول عنها ، وماذا ســـيتبقى لنساء البيوت واليشمك .

وتحاول أن تعاند نفسها . وتدربها على احتمال العذاب . فتسأله كلما رأته :

— ما اخبار امينة . أمازلت تحبها ؟

ربما ، لهذا لا يحس بك ، ربما ردد لنفســـه . انك لو كنت تحبينه ؟ ما كنت تصرفت معه هذا التصرف .

.. .. ..

اعطته بيجامته ..

— تعال لتساعدنى فى عمل الغداء .

ذهب الى حجرة أخرى ، ليغير ملابسه . « ايه يا ابن مجاهد . الى اى طريق تسير » .

مازلت تحلم وتتمنى فى أحلام اليقظة ان تتزوج امينة . أن يكون يسرى القاضى ، وهما . لم تره يوما . ولم ير — هو — امينة . وأن يكون ولداها هما ولداك .

وذهب الى المطبخ ، صفية مشغولة امام الموقد . سار اليها . لم تحس به . عنقها مكشوف .

كثيراً ما راى امينة هكذا . عندما تنحني لتكتب فوق مكتبها وهى معيدة .

مد يده ، ولمس عنقها . نظرت اليه فى دهشة :

ــ صالح . ماذا فعلت ؟!

ارتخت يده . وقف بجانبها امام الموقد . ارتعشت يداها وهى تكسر البيض . ثم عادت ثانية لطبيعتها . وكأن شيئا لم يحدث .

ــ آسفة ياصالح . لو كنت اعلم أنك ستأتى اليوم . لاعددت لك طعاما خاصا . لماذا لا تتصل بى قبل ان تأتى .

بدأ جسد امينة يمتلىء . لكن صفية تحافظ على قوامها . لا تنس ابدا رياضة الصباح . كما انها تذهب الى النادي ثلاثة أيام فى الاسبوع . لتجرى العابها الرياضية .

وعندما قرات عن ممثلة مشهورة بامريكا . تحافظ على قوامها بالرقص ، رقصت .

ــ ساعدنى يا اخى مالك تقف هكذا .

كان مرتبكا من تصرفه المفاجىء معها . أحس أن توتره فى حياته كلها ــ هو الذى دفعه لهذا التصرف الغريب .

حمل الاطباق ، وضعها فوق المائدة . وأتت هى بالباقى . جلسا متجاورين .

ماذا يحدث لو تزوجها . اكبر منه بعامين . لقد ضاع من عمره الكثير . دون شيء . ماذا يمثل العامان . والى متى سيظل هكذا .

ــ صالح . انت فى هذه المرة غير عادى .

ــ لا ابدا .

كانت سعيدة . لقد فاجأها بلمس رقبتها . وكانت المفاجاة الاكبر نظرته اليها . كانت تحمل أشياء كثيرة . تراها لاول مرة فيه .

أحست بحبه لامينة . حتى قبل أن يصرح لها به .

بكت يوم أن قال لها عن أساه ، لان صديقه تزوج منها .

العله نسى أمينة الآن ؟

تعلم انها ليست جميلة . ولكنها أحبته . كان حبها له أحـــد الدوافع للبعد عن الناس . وغلق حجرتها عليها فى الجريدة ــ والبحث عن أشياء جادة ، نساها الناس الان .

أحد اسباب أساها ان تحبه كل تلك السنين . وهو لاه منها بحب لا أمل فيه .

أعدت له فنجانا من القهوة . تابعته وهو ينظر فى حزن الى الفضاء، شفتاه مزمومتان . حاولت تقليده ساخرة . أشعلت سيجارة .

ــ تأخذ سيجارة . لعلها تزيل همك ؟

قال لامه ، بعد أول مرة ينام فيها فى الفيللا مع صفية .

ضربت على صدرها :

ــ أجننت ، تنام فى الفيللا . وليس بها سواكما .

ــ وما المانع ؟

ــ المانع ، أنك شاب وهى شابة .

خشى أن يقول هذا لابيه .

اقتربت منه ، جلست على حافة مقعده . اخذت تنفث دخان سيجارتها فى وجهه . ابعدها وهو يبتسم :

ــ لا أحب رائحة الدخان .

قالت فى دلال :

ــ ماذا تحب اذن ؟

الى متى سيظل هكذا ، انه لم يتعامل أبدا مع فتاة أو امرأة ، لم يجالس فتاة ، جلسة حب ، فى محل عام .

صفية ترغب فيه ، يبدو هذا من كل تصرفاتها . اهتمامها به . اصرارها أن يبيت فى الفيللا رغم انها وحدها .

قال بعد تردد طويل :

ــ احبك أنت .

صدمتها الكلمة ، ظنت ــ أول الامر ــ انه لم يقلها بلسانه ، وانما كانت تحلم فى يقظتها . او انه يمزح معها . ولكنه كان جادا :

ــ صالح ، ماذا قلت ؟

ــ احبك .

ضمت رقبته بيديها :

ــ اخيرا يا صالح .

بكت من فرط فرحتها ، سنوات طوال تتعذب ، كلما تجاهلها .

أحست بمدى قبحها . لو كانت جميلة ــ حقا ــ ما استطاع ان يقاوم كل اغراءاتها .

نظر ــ هو ــ الى دموعها فى دهشة :

ــ أتحبيننى الى هذا الحد ؟!

وركها تقبله ، وهو جالس مكانه دون مقاومة .

.. ..

كانت فرحة ، دخلت حجرته ، شدت غطاءه من فوق جسده :

ـ قم يا صالح . لا استطيع ان ابقى فى الفراش الى هذا الوقت .

اعتدل ، كانت مرتدية ملابس الخروج :

ـ لقد اعددت لك الفطور . سآتى به لك فوق السرير .

اسرعت

غريب ما حدث معها بالامس . لم يكن يظن أن كلمته ستفعل بها كل هذا . ايحبها حقا . لقد قال كلمته ـ تلك ـ لانه اشتهاها وقتذاك .

اتت بالطعام :

ـ هيا ايها الكسول .

تحاول ، الا تفكره بما حدث بالامس . كان يتوقع ان تقبله ، كما كانت تفعل . وتسهب فى الحديث عما حدث . لعلها لامت نفسها ، لاندفاعها اليه هكذا .

ـ هيا يا صالح . سنمر على مجلة « الاصلاح » لاعرض على رئيس التحرير مذكرات ابيك . ثم اذهب الى المجلة .

امسك يدها :

ـ سنمر على مجلة الاصلاح . ولن تذهبى للمجلة . يجب أن تقضى اليوم كله معى .

قالت فى ضيق :

ـ والعمل ؟

ـ لو ذهبت للمجلة سأسافر .

ـ لا .. سابقى معك .

قال رئيس تحرير مجلة الاصلاح :

ـ سأقرا المذكرات ، واتصل بصفية ، لاقول رأيى فيهـــا ، وستخبرك هى .

المســــاومــة

حين قبض على حمدى شعراوى ، واحمد صابر (الذى استاجر البيت من الحلاق) ، كان مجاهد ــ والدى ــ مقبوضا عليه بتهم تهريب المؤن والاسلحة الى طرابلس عن طريق المنيا والفيوم .

أرسلت الجمعية اليه مندوبا ، بأن يعد شاهدين ، يشهدان بأن حمدى شعراوى كان معهما يوم الجمعة ، ٩ يوليو ١٩١٥ ، بعد صلاة الجمعة ، وانهم كانوا يلعبون الطاولة فى قهوة البيراميد . حيث انه فى ذلك الوقت لم يكن البوليس قبض على والدى .

وذهب والدى مع آخر الى المحكمة ، مع جنديين ، وفى أيديهما الحديد ، وشهدا بما أمرت به الجمعية .

ولكن لم تنفع الشهادة بشىء ، فقد حكمت المحكمة الانجليزية عليهما بالاعدام شنقا .

.. ..

ذهب أبوزيد حسنين بنفسه لمقابلة حمدى شعراوى ، كان فى زنزانة منفردة ، يرتدى البدلة الحمراء .

قدم أبوزيد له سيجارة :

ــ أتعرفنى ؟

ــ أجل . الجرائد تتحــدث كثيرا عن همتــك فى القبض على السياسيين .

ضحك :

ــ ولكننى استطيع مساعدتك .

ضحك حمدى ، رمى السيجارة فى ضيق ، رغم انه لم يشعلها .

ــ بعد أيام سأموت .. بماذا أفيدك ؟!

ــ يمكننى أن أبقيك حيا .

اقترب أبوزيد منه ، كادت شفتاه أن تلمسا وجه حمدى . همس فى أذنه ، رغم انه ليس فى الزنزانة سواهمــــا . أحس حمدى بقشعريرة :

ــ أجل . ممكن أن أجعلهم يخففون الحكم عليك ، وبعد سنوات قليلة ، تخرج .

ـ والثمن ؟
ـ رخيص جدا ، اسماء اعضاء الجمعية .
ابتعد حمدى عن وجهه متقززا .
ـ عندما القيت القنبلة ، كنت أعلم انه يمكن ان أموت ، ورميتها رغم هذا .
ـ اجل . لكن الموت يقترب الان . واصبح امرا محتوما .
ـ ارجوك . انا اشعر باشمئزاز من كلامك ، ارجوك تخرج .
صرخ فيه ..
.. ..
سافر ابوزيد حسنين الى بلدة (ابا الوقف) التابعة لمركز مغاغة .
كان يرتدى بدلة عادية حتى لا يعرف احد انه من البوليس .
قابل ابا حمدى شعراوى ، رجل عجوز ، حزنه على ولده . احنى هامته . لم يحلق لحيته منذ ان قبضوا عليه .
قدم ابوزيد نفسه ، على انه محام مفوض من الدولة للدفاع عن ابنه :
ـ ابنك لا يريد أن يساعدنى .
ـ كيف ؟
ـ تعلم انه سيشنق ؟
ـ أعلم .
ـ يمكنك ان تخفف الحكم عنه .
ـ كيف ؟
ـ بان تجعله يعترف باسماء اعضاء الجمعية .
ـ وماذا استطيع ان افعل ؟
ـ حدثه فى هذا ، فهو مصر على الرفض . الا تريده ان يعيش ؟
ـ أجل .
.. ..
سافر والد حمدى اليه ، سهل ابوزيد له أمر الزيارة للسجن .
ـ يا ابنى . الرجل يريد ان يساعدك . فلماذا ترفض مساعدته .
ـ من يا ابى ؟
ـ المحامى الذى فوضته الدولة للدفاع عنك .
ـ انه ليس محاميا . انه ضابط بوليس . يريدنى ان ارشد عن زملائى . هل ترضى أن أبلغ عن زملائى ؟
ـ وحياتك ؟

ـ كنت اتوقع قبل ان القى القنبلة ان اموت .

.. ..

كلف السلطان حسين كامل ـ رئيس وزرائه حسين رشدى باشا بالتدخل لدى القوات البريطانية لتخفيف الحكم من الاعدام الى السجن المؤبد .

.. ..

لم ييأس ابوزيد حسنين . فقد ذهب الى حمدى شعراوى فى سجنه :

ـ لقد اوصيت عليك القائمين على السجن . لو اساء اليك احدهم، ارسل لى .

ـ اشكرك .

ـ ان اردت شيئا ارسل لى ، لقد تدخلت لدى السلطات لتخفيف الحكم عليك . اشعر بحب تجاهك ، لا ادرى له سببا .

.. ..

حدث ابوزيد انجرام ، فى امر حمدى شعراوى :

ـ واثق . من انى سأستفيد من هذا الولد .

ـ كيف ؟

ـ لقد درست حالته دراسة كافية ، انه فقير ، والده لا يملك سوى قيراط ونصف فى البلد . وهو يعمل مدرسا براتب صغير جدا . كما انه من انشط افراد الجمعية . واكثرهم جراة . لقد اصر على القاء القنبلة . رغم ان الكثيرين قد ارادوا هذا قبله .

ـ لكنه فى السجن الان ؟

ـ افراد الجمعية ما زالوا يقابلونه هناك . كما اننا من الممكن ان نتدخل للافراج عنه . باى سبب من الاسباب .

ـ تلك مغامرة غير مضمونة ؟ فمن الممكن الا يتغير .

الاربعاء ١٢ مايو ١٩١٥

راجت فى عصر السلطان حسين كامل ، تجارة الرقيق الابيض رواجا عظيما ، ودفعت الضائقة المالية التى استحكمت حلقاتهــا خلال الحرب ، وانقطاع الاعمال ، وارتفاع الاسعار ، وتعذر اسباب المعيشة على الطبقات الفقيرة دفعت عددا كبيرا الى الاتجار فى اعراض زوجاتهم وبناتهم .

وقد تألفت فى المدن الكبرى عصــابات ، كانت تخطف الفتيات القاصرات وترغمهن على مزاولة الدعارة ، فكثر اختفاء اللواتى تتراوح اعمارهن بين السادسة عشرة والثامنة عشرة ، ولم تكن نشرة ادارية تخلو من الاعلان عن الفتيات المتغيبات .

اتى شحاتة العجوز الى بيت ابو الوفا بحسنين ، أعدت له ملك حجرة صغيرة لينام فيها .

الرجل عجوز حقا ، لكنه نشـيط ، يستطيع فعل كل شىء فى البيت . الكنس ، مسح البلاط ، غسل الاوانى .. الخ .

ولانه عاش حياته بلا زوج . فهو يجيد الطهى ايضا .

ارتاحت ملك له ، فالرجل هادىء . دائم الابتسام . يقوم قبل الفجر ، يتوضأ ويصلى الفجر . ويقرأ القرآن بصوت خافت . حتى لا يوقظ أبو الوفا وملك . ثم يدخل « المطبخ » ويعد الافطار .

عندما تدخل ملك المطبخ ، تجده قد أعد كل شىء :

ـ لقد أرحتنى يا عم شحاتة . بارك الله فيك .

أحس هو الاخر ـ بحب لملك . فالمرأة لا تنسـاه ابدا . اذا ما صنعت لنفسها قهوة ، تعد له مثلها .

يخرج أبو الوفا فى الصباح ، تجلس ملك ، تنادى شحاتة ، الذى لا يلبى نداءها بسهولة فهو مشغول دائما بفعل شىء فى المنزل .

رأته مرة يمسح البلاط القديم بطوبة حمراء ، حتى يعيـد اليه بريقه ...

يأتى اليها مضطرا :

ـ اجلس يا عم شحاتة ، ارتح قليلا .

تترك الشقة له . اذا ما كان لديها محاضرة فى الكلية . تأتى بعدها ، تجده قد أعد كل شىء لم تغضبه يوما ، ولم تصرخ فيه ، مثلما يفعل ابو الوفا ، الذى يسبه دائما .

لقد احست ملك ان شحاتة قد جاءها فى الوقت المناسب . بعد ان اهانها أبو الوفا أمام سكان العمارة ، قررت الا تعود اليه . ولكنها لم تستطع ، فهى تعرف حالة أخيها محمود المالية ، زوجته لا تعمل، وأولاده كثيرون . ودخله ليس كبيرا . فالحل هو أن تكمل دراستها فى كلية الاداب . التى تركتها من أجل ابو الوفا .

بعدها ستترك البيت . وتعيش بعيدا عنه .

شحاتة العجوز يعينها على احتمال تلك الحياة . فهو لديه كم هائل من الحكايات والنوادر يحكيها بطريقته الريفية ، فتضحك ملك كثيرا .

يحكى لها عن والد أبو الوفا ، حسنين خولى الباشا . ويحكى لها عن الباشا وزوجته وأولاده .

تتذكر أيامهـا الماضية مع أبو الوفا ، عنـدما كانت تتحدث معه طوال الوقت ..

هي الان تتصرف بهذه الطريقة مع شحاتة .

اذا ما ذهب ليمسح دورة المياه ، تقف على بابها ، تحدثه ويحدثها .

.. ..

عاد صالح من القاهرة ، احس بأن ما حدث بينه وبين صفية قد زاده هما .

بعد أن أفاق ، احس أن جرحه قد ازداد اتساعا وعمقا .

سأله حمدى رشوان :

ـ لماذا تأخرت هكذا ؟!

قال ابراهيم زيدان !؟

ـ لا شك أن المأمورية طالت ، فاضطر ان يبقى حتى ينتهى منها .

ـ ماذا حدث ، قابلت رئيس المؤسسة ؟

ـ اجل . ولم يجد لى حلا .

ـ والعمل ؟

ـ الموضوع معقد .

ـ انه لم يوقع على شيك المرتبات حتى الان .

ـ سأحدثه فى هذا عندما يأتى .

جاءه الساعى مسرعا :

ـ دكتور صالح ، تليفون من الخارج .

أسرع الى مكتبه . كانت المتحدثة هى أمينة :

ـ آلو . ماذا بك . لماذا تبكين ؟

ـ ارجوك يا دكتور تأتى الى الكلية الان .

ـ سأحضر حالا .

.. ..

أمينة تجلس فوق مكتبها ، نفس المكتب الذى كان يجاور مكتبه ، عندما كان مدرسا فى الكلية هبت عندما رأته :

ـ دكتور صالح ، الحقنى .

ـ ماذا حدث ؟

كان الدولاب ، الذى يجاور مكتبها مفتوحا ، والاشياء ـ التى كانت بداخله ـ ملقاة على الارض .

ـ فتحت الدولاب ، الذى به عينات بحثى . فلم أجد العينات .
بكت ...
ـ اهدئى يا أمينة .
ـ العينات التى تعبت فى فحصها لسنوات . وبذلت فيها مجهودا ووقتا .
نظر الى الدولاب ، قال أحد المدرسين :
ـ لقد ثارت والقت محتويات الدولاب على الارض .
قال آخر :
ـ تستطيعين الحصول على عينات أخرى .
صرخت :
ـ ظللت أدرسها لثلاث سنوات كاملة .
قال صالح للمدرسين :
ـ بالطبع ، تعرفان من له مصلحة فى اخذ العينات .
قال احدهما :
ـ لا نعلم .
والاخر ، نظر الى الدولاب ولم يجب .
الوحيد الذى تهمه هـذه العينات . هو رئيس القسم ، الذى يدرس نفس الدراسات التى اهتمت بها أمينة .
قال صالح لها :
ـ تعالى معى . سأذهب لاواجهه .
قال احد المدرسين :
ـ ليس هناك داع لهذا . فليس لديكما ما يؤكد هذا .
قالت أمينة :
ـ هيا بنا . ليست هناك فائدة .
.. ..
اتصلت صفية به مساء :
ـ آلو صالح . كيف حالك . لقـد وافق رئيس تحرير مجلة الاصلاح على نشر المذكرات مسلسلة سيبدأ من العدد القادم .
ـ شكرا لك يا صفية .
ـ متى ستأتى الى القاهرة .
ـ لا أدرى . مشغول الآن للغاية .

الاثنين ٢٢ مايو ١٩١٦

كثر في عصر السلطان حسين كامل ، غش المصوغات ، وظهرت في تلك الايام ، فئة من المحتالين ، يبيعون للناس نحاسا مطليا بالذهب على انه من الذهب الخالص ، وكثرت جرائم تزييف النقود الفضية والورقية من الاجانب والوطنيين ، وضبطت آلات التزييف في عدد من القرى والمدن ، وكذلك خطف النقود والملابس . والمواد الغذائية من المارة والمحلات العامة ، وكثرت السرقات . واشترك في السرقات بعض المتعلمين — لأول مرة في تاريخ البلاد — فمنهم المحامي ، وأرباب الشهادات من المتعطلين . وبعض الموظفين .

.. ..

ضبط اسماعيل صدقي ، وكان وزيرا للاوقاف وقتذاك ، في عوامة مع امرأة ، وضبطا عاريين ، وقد اضطرت المرأة أن تنتحر بالسم .

.. ..

وتعذر الزواج على الشبان ، لارتفـــاع نفقات المعيشة ، فكانوا يتسكعون في الشوارع والطرقات وأمام دور اللهو .

.. ..

وكشف التحقيق ان امرأة واحدة من القوادات تملك مائة وخمسين بيتا ومائة فدان . ولديها عدد كبير من الأعوان والخدم . وبينها وبين بيوت الدعارة . في القاهرة وبور سعيد والفيوم وغيرها — اتفاقات تجارية ، تتعهد بمقتضاها أن تورد لتلك البيوت ، أجمل الفتيات وتحرر بالقيمة وثيقة . اذا لم يتم الدفع فوراً .

.. ..

قال صالح لوالده عن خبر نشر المذكرات ، فرح الرجل كثيرا ، قالت الام :

— اخشى أن تعيد هذه المذكرات الالام الينا ثانية .

صاح الأب بها :

— ماذا يخيفك . انني اتحدث عن عصر يختلف عن هذا العصر .

سأله صالح عن سبب حدوث السرقات والتزييف والدعارة وخطف البنات في عصر السلطان حسين ، كما جاء في مذكراته ؟

قال الاب :

ـ لقد كان هناك راعى غنم ـ فى زمن عمر بن عبد العزيز ، كان ينام تحت شجرة ، تاركا الذئاب تحرس الاغنام مع الكلاب ، .

هكذا كان الحال فى وقت عمر بن عبد العزيز .

وفجأة ، رأى الراعى ـ من بعيد ـ الذئاب تنقض على الاغنام . وتقتلها .

صاح الرجل :

ـ لا حول ولا قوة الا بالله . لقد مات عمر بن عبد العزيز .

وحدث فعلا . أن مات عمر بن عبد العزيز ، فى نفس الوقت الذى هجمت فيه الذئاب على الاغنام .

ظنت المرأة أن زوجها يهذى . قالت :

ـ ماصلة ماتقوله ، بسؤال ابنك ؟!

.. ..

علقت السلطات لوحات على كثير من شوارع الدعارة . تحرم فيها مرور الجنود البريطانيين فى هذه الشوارع ، ونشرت صحيفة وادى النيل فى ١٩١٦/٥/٣١ :

أن الصحف الاسترالية قد تناولت الدعارة فى مصر وهولت فيها وبالغت ، وقالت انها السبب فى افساد أخلاق الجنود ، وتحطيم قوتهم الجسدية . واضعاف روحهم المعنوية ، فضلا عما يصيبهم من امراض خبيثة .

.. ..

ونشرت مجلة الوطن فى ١٩٦٨/٨/١٤ عن هذا الموضوع :

كلفت الحكومة رجال الشرطة العاديين بمراقبة الاداب ، فلم يحسن هؤلاء القيام بعملهم فكانوا يقبضون على حرائر النســــاء معتقدين أنهن من الساقطات ، فقبض على الزوج وزوجته . والرجل وخطيبته. والشقيق وشقيقته .

المـــواجهـــة

يتابع ابو الوفا ملك من حجرته ، يترك الجــــريدة التى يقرأها وينظر اليها .
اتى الرجل ــ شحاته ــ من الحجرة الاخرى . وهى فى انتظاره :
ــ شحاتة . شحاتة . تعال .
المراة لا تتحدث ــ الان ــ سوى مع شحاتة .
قال شحاتة متسائلا :
ــ ماذا هناك ؟
شدته من يده ، ادخلته الحجرة ، هب ابو الوفا ، اسرع الى الحجرة ، رآها تنظر من النافذة :
ــ انظر ياشحاتة .
اخذا ينظران معا من النافذة . وقف ابو الوفا للحظات ، ماذا يفعل ؟ ايصرخ فيهما كما كان يفعل من قبل . انه يخشى غضــبها الان .
عاد ثانية الى مكانه ، حاول ان يقرأ الجريدة ، لم يستطع .
نام فى تلك الليلة بجوار ملك . انها تنام بعيدا عنه ، لا تتجــه ناحيته ..
راى فى منامه ملك تسير بقميصها العارى الشفاف ، شـــحاتة ينتظرها فى الطرقة ، يسيران معا ناحية الحجرة الاخرى « نفس الحجرة التى دعت شــحاتة اليها لينظران معـــا من النافذة الى الشارع » .
رآها تدعوه للنوم معها ، كانت تتعلق برقبته .. صاح ابو الوفا فزعا ..
صحا من نومه ، اشعل المصباح . نظر فى ساعته .. الفجـــر يقترب ..
سمع جلبة فى الخارج . ولكن ملك مازالت بجواره .
لقد تأكد الان أن ملك على علاقة بشحاتة فاحلامه لا تخيب ابدا .
لقد جنت ، اتخونه مع ذلك العجوز ، الذى لا يفقه من الدنيا شيئا .

أسرع أبو الوفا الى الخارج ، وجد شحاتة يستعد لدخول دورة المياه ، وهو يردد آيات من القرآن الكريم بصوت خافت :
ــ ماذا تفعل الان ؟
شحاتة يخافه ، يرتعد عندما يرآه :
ــ انني ، داخل لاتوضأ .
سمعت ملك صوت صراخه . استيقظت ، احست بأن فى الامر شيئا غريبا . أتراه يشك ايضا فى هذا الرجل العجوز !؟
أتى أبو الوفا ، نظر اليها شذرا ، ولكنه لم يتكلم :
ــ ماذا حدث ؟
قالتها فى تحد ، قال :
ــ لا شىء .
ــ ماذا فعل شحاتة ، لتصرخ فيه هكذا !؟
ــ وما شانك أنت ، لماذا تدافعين عنه ؟
ــ ادافع عنه !؟ انه فى عمر أبى .
ــ عمر أبيك !؟ والحلم الذى حلمته الليلة .
ــ ماذا تقصد ؟
ــ لا اقصد شيئا ، كفى حديثا الان .
صمتت ملك ، الى متى ستحتمل هذا الرجل ؟

.. ..

خرج من البيت مبكرا . ركب سيارته ، طاف بها الشوارع الخالية من المارة . وقف بها فى محطة الرمل ، دخل محلا عاما ، شرب كوب شاى . وعاد ثانية الى سيارته .
احس بأن الحلقة تضيق شيئا فشيئا ، ورقبته داخلها .
لابد أن هناك علاقة ما ، بين موت اسماعيل ولده ، وتصرفات ملك معه . فأفعالها ، عقاب لشىء فعله ، ربما تسـببه فى موت ولده اسماعيل .
اقتربت السيارة من مبنى الشركة ، كل شىء فيها يضنيه . خاصة ذلك الولد صالح ، انه يتحدث ببرود شديد . كأنه يسخر منه ، أو يرثى لحاله .
دخلت السيارة الباب الكبير . اول مرة يأتى اليهم مبكرا ، لهذا هم مندهشون . خرج من السيارة ، دخل باب الادارة ، سـأل الساعى :
ــ دكتور صالح وصل ؟

ـ اجل . فى حجرته .
سار اليه ، احس أن يديه ترتعشان ، وسـاقيه لا تقدران على حمله . دق الباب ، سمع من يقول :
ـ ادخل .
الموظفون والسعادة ينظرون اليه . يتساءلون عما يريده من صالح الان .
وقف صالح مرحبا . لعل الرجل عاد لرشده ، ويريد أن يوقع شيك المرتبات .
صاح أبو الوفا بصوت مرتفع ، سمعه كل من فى الادارة :
ـ دكتور صالح ، يلعن أبوك .
لم يصدق صالح ما حدث ، ضحك ـ أول الامر ـ ثم قام .
فتح الباب ، الموظفون ـ كلهم ـ ينظرون اليه فى دهشة . والسعاة يهمسون :
ـ ماذا فعل الدكتور له ، ليقول له هذا ؟
اسرع حمدى اليه :
ـ صالح ، لا تهتم .
لم يجبه . اسرع الى مكتب ابو الوفا ، دخل دون استئذان ، جلس وابو الوفا ينظر اليه كأنه لا يحس بما حدث .
ـ ماذا قلت لى ؟
ـ ماذا . تريد أن تتشاجر معى ؟
ـ لا . انما أردت أن اعرفك من هو ابى الذى سببته . انه لاشك خير من أبيك .
رمى ابو الوفا الاوراق التى امامه ، راى صالح ، وملك واسماعيل، واباه الخولى . الذى كان يستمد قوته لدى الباشا من نقل الاخبار اليه . وابوزيد حسنين ـ شقيقه ـ الذى اصبح مشهورا ، وصار مهما ، لانه قبض على السياسيين فى وقته .
الكل ينظر الى ابى الوفا ، ينتظر ما سيفعله بصالح :
ـ اخرج .
صاح أبو الوفا ، ثم بكى بصوت مرتفع .
دخل الموظفون مسرعين ، على أثر سماعهم صوته ، ظانين أن صالح قد تشاجر معه . وجدوه مرتميا فوق المقعد منهارا ، يبكى فى حرارة .
.. ..

أتت صفية الى الاسكندرية ، لن تبقى هكذا ، كما كانت تنتظر صالح أن يأتيها ، لقد قال انه يحبها ، فلا يجب أن تتركه .
احست انه فى حاجة اليها ، لابد ان تحميه . لن تتركه لامينة . ولا لغيرها .
قبلتها امه :
ـ كيف حالك يا ابنتى . انك تذكريننى بالايام السعيدة .
سارت الى حجرة الاب ، الذى لا يترك السرير الا لماما .
ارتمت على صدره :
ـ عمى مجاهد .
فوجىء بها . احس انه يحلم بعلى منصور . وان ابنته ـ تلك ـ جزء من الحلم :
ـ أهلا بك يارائحة الاحباب .
أخرجت من حقيبتها الفصل المنشور من مذكراته بالمجلة . وصورة له وهو يرفع يده لأعلى .
تابعت المرأة صورة زوجها باعجاب شديد . قال مجاهد :
ـ اقرئى يا ابنتى . ما عدت قادرا على القراءة .
قرات له ، ثم قالت :
ـ متوقعة أن تثير المذكرات جدلا شديدا .
كان صالح يراقب هذا كله فى صمت .
خرجوا من حجرة الاب ، وذهبت الام لاعداد الطعـــام . قالت صفية :
ـ اشتقت لك ياصالح ، لم أعد أطيق فراقك .
ـ ماذا افعل . وانت فى القاهرة ، وأنا فى الاسكندرية .
ـ لو شئت ، لعشت معك هنا ، فى الاسكندرية .
ـ والصحافة ؟ أم تريدين أن تضحى بها من أجلى .
ـ لا . أستطيع أن أبقى فى الاسكندرية ، وأراسل المجلة .
أحست الام أن فى الامر شيئا غير عادى بين ولدها وصفية .
زفرت بضيق ، ليس من المعقول أن يرتبط ابنها بها ، انها ليست جميلة ، كما أنها أكبر منه
ـ أريد أن أشاهد الاسكندرية .
.. ..
بقى معها طوال النهار . كانت تتشبث بيده بطريقة غريبة .
جلست معه فى محل عام ، نظرت الى عينيه طويلا :

ــ طوال عمرى لم ائتمن من الرجال سواك .
ابتسم :
ــ انت لا تعرف ما فعلته بى بعد آخر زيارة لك فى القاهرة ، غيرتنى تماما ، تصور ، كل زملائى فى المجلة يسألون عما حدث لى ، زميلة لى قالت هامسة « أستطيع أن أقول انك ستخطبين عن قريب » .
ــ الزواج ثانية !؟
ــ الزواج لم يؤرقنى ابدا . كل مايهمنى أن تحس بى .
وضعت يدها فوق المائدة ، داست على يده بأصابعها . ونظرت اليه ، تقلصت عضــلات وجههــا حتى بدت كامرأة أخرى . ازداد وجهها احمرارا .
ــ صفية ، ماذا تفعلين ؟
اعادت يدها الى حجرها :
ــ آسفة ، لا شىء .
ضحك قائلا :
ــ تعبير وجهك كان غريبا .
ــ لا أعرف كيف فعلت هذا .
ــ اريدك أن تفعلى هذا ثانية .
احست بالخجل . امسكت حقيبتها وقالت :
ــ هيا .. حتى أستطيع أن الحق بالقطار .
نظر فى ساعته وقال :
ــ بقيت ساعة على ميعاد القطار .
ــ هيا نسير معا ، ثم ننتظره فى المحطة .
ــ اريدك أن تفعلى ما فعلته ثانية .
ابتسمت فى حياء وقالت :
ــ هيا ياصالح . ولا تحدثنى عن هذا ثانية .
سارا معا ، شدت على يده ، قبل أن تدخل القطار وقالت :
ــ سأنتظرك هذا الاسبوع ، لا تتأخر .
.. ..
ما الذى يحدث ؟ انه لم يقصد بما فعله معها فى فيللتها ، أن ترتبط به هكذا .
عندما دخل صالح باب الشقة ، قالت الام هامسة :
ــ لماذا تأخرت . امينة وزوجها فى الداخل .
دخل الحجرة .

ـ اهلا بكما . آسف على تأخيرى .
قال يسرى :
ـ لقد جئنا لنخبرك ان امينة قد عادت الى بيتها .
نظرت هى الى الارض خجلى . قال :
ـ طبعا . ليس لها سوى بيتها .
ـ لقد اقتنعت بما فعلت .
نظر صالح اليها فى دهشة ، لم تنظر نحوه . احنت راسها اكثر .
ضحك صالح فى أسى ، ردد لنفسه « الكل باطل » .
قال يسرى :
ـ لقد رأت امينة بنفسها التغيير الذى حدث فى حياتنا . لقد دهشت عندما دخلت الشقة كل شىء فيها قد تغير ، الاثاث ، الثلاجة .. الخ .
كلما تحدث زوجها ، تزداد انحناءة رقبتها . ويزداد وجهها احمرارا .
ـ والاكثر من ذلك السيارة التى اتيت بها . هل تظن اننى كنت سأشترى سيارة وانا فى الجيش .
اراد صالح أن يقول : ان المدة قصيرة جدا ، لتحقيق هـذا كله ولكنه أحس بسخافة قوله ، فصمت .
تحدث يسرى القاضى كثيرا عن الصفقات التجارية التى يجريها مع عملائه فى أمريكا وايطاليا واليونان ، وصالح شارد . وأمينة تعبت من انحناءة رقبتها ، فنظرت الى الناحية الاخرى صافحهم صالح وهو شارد . لقـد اكملت أمينة بقبولها العودة لزوجها ، على هذا الحال ، الدورة .
تذكر صفية واصرارها على الوقوف فى وجه زملائها فى المجلة ، ووجه رئيس التحرير الذى لا يقبل سوى المقالات الخفيفة والتافهة التى تداهن وتنافق الحكام .
ألم تضعف صفية ـ هى الاخرى ـ عندما أعربت عن رغبتها فيه ، وهما جالسان فى المحل العام .
أذلك ضعف أم قوة ، لقد فعلت ما لاتقدر على فعله الاخريات . انها رغبت فيه ، ولم تخف هذا ، كان صمتها طوال هذه المدة هو الضعف .
ماذا لو تزوج صفية ، حتما سيحلّ مشكلته ومشكلتها .

اجل . فامينة سقطت تماما ، انحناءة رقبتها — التى كانت تغريه، وتجعله ينظر اليها برغبة ، حتى ان يعد الشعيرات القليلة المنسدلة فوقها . لم تعد تهمه الان بل احس بالضيق من رؤيتهـــا فى ذلك الوضع .

احس انها ممتلئة اكثر من اللازم ، أول مرة يحس بهـــــذا الاحساس .

اجل . سيتزوج صفية .

فتح الباب بمفتاحه ، ملك تجلس وشحاتة امامها ، يلعبان الورق .
لم يحييهما . دخل حجرته ، رمى حقيبته هناك ، وقفا . أسرعا الى المطبخ لاعداد الطعام له .
لقد بدأ أبو الوفا يخاف شحاتة . لا يستطيع ان يوبخه ، اذا كانت ملك موجودة .
اذا انفرد به ، يصيح فيه ، يود لو قتله وارتاح .
لهذا يخافه شحاتة . اذا ما ذهبت ملك الى الكلية ، ويكون أبو الوفا فى البيت ، يظل شحاتة مختفيا فى المطبخ ، ينتظر ملك قلقا . لا يخرج منه الا اذا دعاه ابو الوفا .
اراد شحاتة ان يقوم ، خوفا من ابى الوفا ، ولكن ملك صاحت فيه :
ــ اجلس ، واكمل لعبك .
جلس غير مرتاح . ينظر من وقت لآخر الى حجرته فى خوف .
مد أبو الوفا ساقيه ، لو تعلم ما حدث له فى الشركة . ماذا لو علمت . لقد تغيرت ، وربما عادت تهتم .
لو كان هذا فى الماضى ، لأسرعت اليه ، ووضعت رأسه فى صدرها .
لقد انهار أمام العاملين فى الشركة ، الى أى مكان يذهب . طردوه من الشرطة . ماذا سيفعلون له ثانية ، أنه يود لو جمع كل العاملين فى الشركة ، ويقبلهم ويحقق لهم ما يريدون ، ولكنه لا يقدر عجزه عن فهم ما يفعلون هو الدافع الى تصرفاته تلك
الولد صالح ، لابد من أن يبعده عن الشركة . لو بقى يوما واحدا . سينهار كل شيء .
سيجعل العاملين هناك يطمعون فيه ، ويهينونه مثله .
لابد من مقابلة علوان باشا . حتى يساعده فى نقله .
يعلم أن علوان باشا ما عاد يحتمله ــ ولكن لابد ان يفصل هـذا الولد . . .
ينقله ــ المهم ان يذهب عن الشركة . انه آخر طلب سيطلبه منه .
.. ..

سارت سيارته فى شوارع الاسكندرية ، كان يهدىء السرعة ، اذا ما رأى امرأة وفتاة تلفت نظره ، كثيرا ما ركبت حسناوات بجواره .
الان يتباعدن عنه .
لقد نسى علوان افضال اخيه عليه ..
حدث ملك عن اخيه كثيرا ، قال لها عن ظروف مرضه (عندما تزوج أبو الوفا ملك ، لم يكن أبوزيد قد مات ، كان يعانى مرضا ، لم يعرف الاطباء نوعه . كان يصرخ طوال الليل ويهذى ، اكد الاطباء ان أعضاءه ليس بها مرض .
فى الصباح . يتحدث أبوزيد مع أطبائه فى السياسة ، وما يجب ان يفعله رجال الثورة حتى يسيطروا على الشعب .
حكى أبو الوفا لملك عن بعض اهالى القرية . قال لها عن ابيه . انه أيضا كان يهذى قبل أن يموت .
احقيقة انى مجنون ، انى اصدق هذا احيانا . فذهابى الى الطبيب النفسانى ، دليل على اعترافى بأنى مجنون .
قال محمود اننى جننت ، وأيضا بعض زملائى فى الشرطة قالوا هذا ...
.. ..
أيكون الجنون وراثة فى عائلتنا : ابى ، ثم أبوزيد ، وأنا الان .. وربما اسماعيل لو عاش .
سأله الجندى الذى يقف أمام بيت علوان باشا عن مقصده لم يجد ما يقوله ، دفع الجندى وسار ، صاح الجندى فيه :
ــ يا حضرة . يا حضرة .
احس الجندى ــ من تصرفاته ــ انه شخص هام ، فتركه يصعد الدرج ..
فتحت الشغالة الباب ، اغلقت الباب ثانية ــ وهو فى الخارج .
اتت الزوجة مرحبة :
ــ أهلا أبو الوفا . تفضل .
تعرفه المرأة منذ ان كان زوجها ضابطا صغيرا ، كانوا يسهرون معا . هى وزوجها ، وهو وعزيزة زوجته التى ماتت .
ــ تفضل ، سأخبر علوان بقدومك .
جلس فى حجرة الصالون ، ذهبت الى زوجها ، قالت مبتسمة :
ــ أبو الوفا حسنين فى الصالون ..

ــ لماذا لم تقولى له انى غير موجود .
فوجئت المرأة بقوله :
ــ لماذا ، انه صديق قديم .
ضاق علوان به :
ــ لقد جن . وانا لا استطيع احتماله . لقد فعلت من اجله الكثير ، نظير خدمات شقيقه ابوزيد لى .
وقف الرجل مضطرا وسار اليه :
ــ اهلا أبو الوفا .
لمس يده بأصابعه .
ــ تفضل بالجلوس .
ــ آسف لهذه الزيارة المفاجئة .
ــ لا . . .
كاد يقول ــ كما كان يقول قبلا ــ « تفضل فى اى وقت » . لكنه لم يستطع .
ــ خير ؟
ــ خير يا باشا . أشكرك على كل ما قدمته لى .
ــ ماذا حدث ثانية ؟
قالها الرجل مقاطعا وفى ضيق :
ــ موظف ، لا أريده فى الشركة .
وقف علوان ، أحس بتفاهة مطلبه . يأتى اليه ويقلقه فى البيت من أجل نقل موظف !؟
ــ سأحدث رئيس المؤسسة لينقله .
أعطاه ورقة :
ــ اكتب اسمه .
كان وقوف علوان اعلانا بانتهاء الزيارة .
أسرع أبو الوفا الى سيارته . اراد أن يبتسم ، وان يحس بانه انتصر . لكنه لم يقدر .
ماذا سيحدث بعد ان ينقل صالح ، ماذا سيفعل مع ملك التى تهرب منه بذهابها الى الكلية . وبحديثها الدائم مع شحاتة العجوز .
اتصل علوان باشا برئيس المؤسسة :
ــ معذرة ، فأنا أثقل عليك .
ــ أأمر باشا .
ــ أبو الوفا حسنين ، الذى أرسلته لك ، ليرأس شركة كيماويات.

ــ اجل . ايشكو من شيء ؟
ــ انه يريد أن ينقل موظفا عنده لجهة أخرى .
ــ ننقله يا باشا اسمه ، وسأنقله فورا ، الآن .
ــ اسمه . اسمه . صالح مجاهد عبد الراضى .
ــ صالح . دكتور صالح . انه هو الذى أسس الشركة . وبدونه يتعذر العمل يا باشا المشروع سيتوقف .
ــ ولكنى وعدته ، ولا أستطيع أن ابدو صغيرا أمامه .
ــ ونحن أيضا لا نستطيع أن نجعلك كذلك . سننقله يا باشا .
وضع السماعة ، وصاح بمن معه :
ــ العوض على الله فى مشروع الكيماويات الجديد .

نشرت الصحف في عام ١٩١٧

ان الانجليز جاءوا للسلطان حسين كامل ، سلطان البلاد باحد اطباء الامراض العقلية ، ليكشف عليه ويختبره . ولكن السلطان نهره ، وطرده من حضرته .

ونشرت الصحف الاجنبية ايضا

ان السلطان حسين كامل ، سلطان مصر ، عصبي المزاج . سريع الانفعال ، مصاب بالارق ، لا ينام من ليله ، الا ساعة أو بعض ساعة.

اثارت المذكرات التي تنشرها مجلة الاصلاح ضجة كبيرة .
فقد اتصل رئيس التحرير بصفية ليخبرها بهذا .
ــ اجل . لقد وصلتني رسائل بخصوص المذكرات .
ــ زملائي هنا ــ في المجلة ــ يتحدثون عنها ، وقرأت بعض المقالات عنها في الصحف .
ــ ولكن ، جاءتني رسالة من سفير في وزارة الخارجية ، يطلب وقف المذكرات .
ــ لماذا ؟
ــ لانها تسيىء الى والده ، وقالت المذكرات عنه انه كان عميلا للانجليز .
ــ وماذا ستفعل ؟
ــ لن اسأل فيه ، لو اتصل بي . سأقول له ان يكتب ردا بما يريد ان يقوله . وسأنشره له .
ــ اجل .
لم يذهب صالح الى العمل بالامس . قضى اليوم كله مع صفية . عندما طلبت منه ان يبقى معها ، ولا يذهب الى العمل . أحس انها قد انقذته ، فهو لا يرغب في الذهاب ، ويريد اى سبب حتى لو كان تافها ، لكي لا يذهب .
كل يوم يذهب ليحتسى القهوة والشاى . ويتحدث مع عبده رشوان وابراهيم زيدان ، ثم تحملهم السيارة ثانية للعودة .
العمل متوقف . منذ ان أتى ابو الوفا .
دخل صالح باب الشركة . أحس ان الخفراء والموظفين ــ على البوابة ــ ينظرون اليه نظرات غير عادية . وأحس أنهم ، تهامسوا بعد ان سار بجانبهم .
قابله عبده رشوان حزينا :
ــ ألم تعلم بما حدث ؟
ــ ماذا ؟
ــ لقد نقلتك المؤسسة .

ـ نقلونى أنا !؟
ـ أجل . الى شركة ورق . تابعة للمؤسسة .
أمسك يد عبده :
ـ هيا الى مكتبك .
ـ اذهب وقابل رئيس المؤسسة ، ربما .
قاطعه قائلا :
ـ ربما ماذا ، أبو الوفا لو أراد نقل رئيس المؤسسة نفسه ، سينقله .
دخل صالح حجرته ، عليه الان أن يجمع كل مايخصه فى الشركة..
هكذا فعل منذ سنوات ـ عندما فصلوه من الكلية الحربية ..

لقد أطاع رئيس المؤسسة ، ووافق على ترك كليته ، من اجل المشروع . سيوفر على الدولة عملات صعبة كثيرة ، ماذا أخذ ، لا شيء . على الاقل لو بقى فى الكلية ، لاستطاع أن يكمل ابحاثه . وما فائدة الابحاث الان ، مادامت لا تنفذ .

بكى بعض الموظفين وهم يقبلونه :
ـ لقد تركتنا لهذا الوحش .
ـ ربنا أكبر من الجميع .
ركب سيارة الشركة ، لتوصله الى بيته
.. ..

سافر الى صفية :
ـ ستبقى معى ليلتين ، كالمرة السابقة ؟
ـ لو شئت لبقيت معك العمر كله .
ـ أتحبنى لهذا الحد ؟
ـ لا تتسرعى . ليس من أجل الحب . انما لانى بلا عمل الان .
ـ كيف ؟
ـ نقلونى الى شركة ورق ، ولن انفذ النقل .
ـ معقول !؟
ـ دعينا من هذا . اريد ان اذهب الى الفيللا .
فى السيارة ، وضع يده فوق يدها قائلا :
ـ لقد نويت أن أتزوجك .. ولكن موضوع النقل هذا ..
ـ أنت متشائم للغاية ، يمكنك ان تعمل فى الكلية ثانية . او فى اى كلية علوم . فهناك كليات كثيرة الان .

ــ الم احك لك عن رئيس القسم الذى سرق ابحاث معيدة عنده .
ــ ولو . يحدث فى المجلة ــ التى اعمل بها ــ اكثر مما يحدث فى شركتك ، وفى الكلية ، ومازلت باقية .
ــ دعينا من هذا الحديث .
ــ اننى احبك ياصالح . فلا تجعلنى امتهن نفسى لذلك .
ــ كيف ؟
ــ احبك ، رغم علمى انك سلبى وضعيف .
ــ ماذا تقولين ؟
ــ أجل . يجب أن تقاوم ، ولو كانت النتيجة لغير صالحك .
.. ..
لم يحس صالح ــ فى المرة السابقة ــ بما يحسه الان :
ــ صفية ، اننى لا ادخن ، ولا أتعاطى مخدرات ، او خمرا ، جسدك هو سجائرى وخمرى ، فيك انسى أحزانى .
ضربته فوق كتفه قائلة :
ــ لا تتحدث عنى بهذه الطريقة .
رأى نظرة عينيها ، وتقلصات عضلات وجهها . التى أدهشته بها فى الكافتيريا ــ رآها آلاف المرات .
لم تذهب فى اليوم التالى الى العمل . ظلت بجواره على الفراش . اخذت تداعب خصلات شعره . ودق التليفون . صاحت :
ــ نسيت أن أحضر التليفون من الدور الارضى . سأذهب وآتى به.
كان المتحدث هو رئيس تحرير مجلة الاصلاح .
ــ آلو . اتصلت بك فى المجلة . قالوا انك لم تأت اليوم .
ــ خير ؟
ــ آسف جدا . لن استطيع أن اكمل نشر المذكرات .
ــ لماذا ؟
ــ تدخلت سلطات أعلى وأمرت بوقف النشر .
صاحت غاضبة :
ــ كيف هذا ؟
ــ السفير اتصل بجهات عليا وأثر عليها .
ــ على أى حال . لن ينفع التفاهم بالتليفون . سأحضر اليك بعد ساعتين .
أسرعت الى صالح ، قالت له عما حدث . ضحك :

ـ ذلك امر طبيعي .
ـ يقولون ان التاريخ ، لا يكون صادقا الا اذا مات الذين يتحدث عنهم . حتى لا يؤثروا على الحقيقة . انما الان لن يكون التـــاريخ صادقا ابدا . فمن سيتكلم عنهم لهم ابناء واحفاد . سيظلون يدافعون عنهم لعشرات الاجيال ، لانهم سيظلون مهمين مثل اجدادهم .
ـ الذى يدهشنى الان . ليس منع المذكرات . انما اصرار رئيس تحرير مجلة الاصلاح على موقفه السليم للان .
ـ اذهب الى الحمام مسرعا . سأذهب الى رئيس التحـــرير واتفاهم معه .
ـ أنت واهمة .
ركب السيارة بجوارها ، كانت غاضبة ، تحاول أن تسرع ، رغم انها تعلم ان رئيس التحرير سينتظرها ، كانت تتعجل لقاءه ، تريد أن تحدثه .
قال صالح :
ـ صفية ، اقبلينى زوجا ، رغم البطالة التى انا فيها الان .
ـ ذلك ايضا ، دليل يأس . تريد أن تهرب حتى من التفكير فيما ستقوله لرئيس التحرير ، دفاعا عن مذكرات ابيك .
.. ..
افرجت وزارة سعد زغلول عن المسجونين السياســيين فى عام ١٩٢٣ .
خرج فى هذا الافراج حمدى شعراوى ، واحمد صابر ، المتهمان فى قضية القاء القنبلة على عربة السلطان حسين كامل بالاسكندرية .
.. ..
ذهب حمدى شعراوى عقب الافراج عنه الى بيت خاله ، قابله خاله بترحاب شديد :
ـ أهلا حمدى ، كيف حالك ؟
ـ بخير .
ـ لقد شرفتنى . فى كل مكان أحكى عنك ، مدير المنطقة ، الذى أجلس أمام بابه . قال لى وأنا أقدم له الشاى « ابن اختك بطل » .
ولكن زوجة خاله ، لم تحسن استقباله ، لم تحدثه سوى كلمتين لا اكثر . فقد تزوجت خضرة منذ خمس سنين ، أم كان يظن أنها ستنتظره ، وحتى أن لم تتزوج . ما كانت ستسمح له بزواجها . أتزوجها « لرد سجون » .

ـ خالى . الحجرة التى كنت مستأجرها ...
كان ينظر فى حياء الى الارض ، قال خاله :
ـ لا تهتم ، عش معنا كما كانت ، الى أن تجد لك مسكنا .
زفرت الأم بصوت مرتفع ، سمعه حمدى ، صاح بها الخال غاضبا :
ـ قومى . جهزى الحجرة لحمدى .
فى الصباح ، حمل متاعه . صاح به خاله :
ـ الى أين ؟
ـ سأزورهم فى البلد ، وسأعود اليك ثانية .
.. ..
ركب قطار الصعيد ، ثمانى سنوات قضاها فى السجن . هو واحمد صابر ، لم يزره فيها سوى بعض أعضاء جمعية التضامن الاخوى . وأبوه وأمه . وخاله مرات قليلة .
سيحاول أن يجد عملا . معارفه كثيرة ، أعضاء الجمعية ، بعضهم وصل الى مناصب كبيرة جدا . لاشك ، لن يخذلونه .
زوجة خاله لا تحبه . لهذا لن يبيت لديها ثانية .
لم تصدق امه نفسها . أسرعت اليه . قبلته . وبكى الاب فرحا :
ـ الحمد لله .
صاحت الام :
ـ لم نكن نصدق انك ستعود ثانية .
أحس بأن حالتهما فى سوء . باع الاب نصف قيراط ليسدد ديونه. وباع قرط امه الذى ورثته عن أمها . وكانت تعتز به . وأيضا ، نحاس الطهو الذى أتيا به من اسيوط .
قال حمدى لهما :
ـ لا تحملا هما ، سأعمل فى القريب ، وسأرسل لكما مبلغا من المال شهريا .
.. ..
قابل مجاهد عبد الراضى فى ورشته :
ـ نورت الهماميل ياحمدى .
ـ نورت بناسها يامعلم .
ـ لم تعمل للان ؟
نظر حمدى الى البيت المقابل للورشة . والذى كان يسكنه قبل أن يسجن .

ـ المشكلة ، اننى لا اجد مسكنا .
ـ هذه ليست مشكلة . اى فرد من اعضـــاء الجمعية عزبا ، ستنام عنده .
ـ لا استطيع ان اكون عالة على احد .
دس مجاهد فى يده مبلغا من المال . احمر وجه حمدى :
ـ لا يامعلم . لا أريد مالا
ـ نحن اخوة .
ولكنه أصر الا يأخذ مالا .
.. ..
زار حمدى احد أعضاء الجمعية ، فى المحكمة ، فقد اصبح الآن قاضيا .
ـ اهلا حمدى ، كيف حالك ؟
ـ آسف لاننى زرتك فى المحكمة . اننى لم أعمل للان .
ـ عيب ياحمدى . انا افديك بروحى . سأعطيك رسالة الى صديق يعمل بوزارة الصحة وباذن الله ستعين هناك .
ـ اشكرك . سأزورك فى البيت بعد ذلك . حتى لا اسبب لك ضررا .
ـ انا فى انتظارك ، فى اى وقت ، وفى اى مكان . هنا ، فى البيت ، كما تشاء .
.. ..
يقف انجرام شامخا ، وابوزيد امامه ، قد وصل ابوزيد الى رتبة قائمقام ، يتحدث انجرام مبتسما :
ـ ماهى أخبار حمدى شعراوى ؟
ـ اننى أرصده ، أعد عليه خطواته . لقد حصل على رسالة من صديق ، ليعمل فى صحة الاسكندرية .
أسرع الى التليفون ، ادار القرص :
ـ الو . انا ابوزيد حسنين . أهلا . اريدك ان تحدث مدير صحة الاسكندرية . لان يمنع تعيين حمدى شعراوى . اجل . اذهب اليه بنفسك . وقل له ما تريد . المهم . اريده بلا عمل مدة طويلة .
ضحك انجرام بصوت مرتفع

يشد أبو الوفا « ملك » اليه ، انها مستيقظة تتصنع النوم :
ـ ملك . ملك .
تشعر الان بالتقزز من وجوده بجوارها :
ـ ملك .
اشاحت بيدها :
ـ اشعر بملل . اريد ان اتحدث اليك .
فتحت عينيها ، قالت فى ضيق :
ـ تحت امرك .
لم يجد رغبة فى القول . انها تعامله بقسوة ، تسخر منه .
لا يدرى كيف تغيرت هكذا ، كان يظن انها لن تتغير أبدا . أجل .
لقد غيرها ذلك العجوز شحاتة . قبله . لم تكن تفعل هذا .
ـ لقد نقل رئيس المؤسسة صالح مجاهد .
ـ من صالح هذا ؟
ـ دكتور كيمائى كان يضايقنى فى الشركة .
اومأت براسها . انه أول مرة يحدثها عن الشركة .
ـ ماذا فعلت فى الكلية ؟
ـ خير .
ـ مارأيك لو خرجنا الان بالسيارة . نجلس فى أى مكان .
صاحت فى دهشة :
ـ الان ؟! اننا بعد منتصف الليل .
ـ أجل . لا اجد رغبة فى النوم . اخاف من الكوابيس التى تطاردنى .
صاحت فى ضيق :
ـ لكننى أريد أن أنام .
ـ اعرف مطعما عظيما يسهر للصباح .
ـ ارجوك . لدى محاضرة فى الصباح .
نظر اليها فى أسى :
ـ نامى يا ملك . سأذهب لاجلس فى الفراندة .

لم تنظــر اليه ، عادت ثانية الى النوم . سمعت حركات قــدميه وسعاله .

.. ..

أحس برغبة فى الذهاب الى الشركة . يريد ان يراها بلا صالح . يراها بعد أن انتصر .

أحس ان وجوه عمال البوابة تتباعد عن رؤيته . حياهم (لأول مرة منذ أن عمل بالشركة) .

ـ اهلا بكم .

تأخروا في الرد عليه ، ربما لان المفاجأة الجمتهم . او لغضبهم منه ، لانه نقل صالح .

ابتسم ، صاح خفير فى دهشة :

ـ لقد رأيته يبتسم .

ابتسم لاول موظف قابله :

ـ صباح الخير .

جمع كل العاملين فى المشروع ، كان يبتسم ، قال :

ـ هاتوا شيك المرتبات ، سأوقعه الان امامكم . ونبدا معا عهدا جديدا ، اننى أعرف الكثير من المسئولين ، وباتصالاتى سأسهل لكم كل شىء .

الكثيرون . ابتسموا فرحين .

.. ..

مد ساقيه فى استرخاء . وحده الان فى المكتب .

والصراف ذهب الى البنك ليصرف شيك المرتبات ، سيحاول ان يفعل ما قاله لهم . أجل ليثبت لملك انه قادر .

أحس برغبة في النوم . لقد مكث فى الفراندة حتى الصباح . لم ينم دقيقة واحدة . كلما اقترب النوم من عينيه ، قاومه ، خوفا من الكابوس الذى يطارده كل ليلة .

شقيقه أبوزيد لم يتزوج . مات عزبا . ليته فعل مثله .

لو لم يتزوج عزيزة . ما كان أتى باسـماعيل الى هـذه الدنيا . وما كان اسماعيل عذبه بموته .

أبوزيد كان أكثر حكمة منه . ادرك موضوع الجنون المتوارث فخاف أن يورثه لأبنائه اذا تزوج .

كان ينتقل من مكان الى مكان ، لديه شقة فى كل محافظة ، يأتيه رجال الآداب بالنساء ليختار منهن من يشاء . وكان يختار .

يقولون انه لم يرتبط بأية علاقة عاطفية ، لم يعـــاشر سوى الساقطات .
كان اكثر واقعية منه . المراة تأتيه وهى تعلم انه يعرف تاريخها الساقط ، لهـــذا ، لن تكذب عليه بكلمات الحب . أراح قلبه من التعلق بواحدة .

.. ..

قال انجرام الانجليزى ، الداهية ، لابى زيد :
ــ انك تلميذى ، ولكنك فقتنى فى موضوع حمدى شعراوى .
انجرام مشغول بمتابعة بعض الاوراق ، أبوزيد يقف بجوار النافذة.
حمدى شعراوى ما زال يكابر للآن . لم يأت صاغرا .
اتصل ابوزيد بالتليفون :
ــ انا القائمقام أبوزيد حسنين . اريدك ان تتابع موضوع أحمد صابر . الذى كان مسجونا مع حمدى شعراوى ، وأفرج عنهما معا .
أجل . ان لم يكن قد توظف . اسع لتوظفه فى عمل هام . اسمع .
يجب ان يكون الراتب كبيرا بعض الشىء .
لم يسأله انجرام عما يقصد . فقد كان مشغولا بالاوراق .

.. ..

يضطر حمدى أن يزور خاله ــ احيانا ،
ملابسه متسخة . ولا يجد من يغسلها له .
انه يسكن مع شاب « أعزب » من شباب الجمعية . اراد الشاب ان يأخذ ملابسه لتفسلها له « الغسالة » التى تأتيه مرة فى الاسبوع .
ولكن حمدى لم يوافق . يكفى انه يحتمله فى حجرته .
صاح خاله :
ــ أهلا حمدى ، كيف حال أهلك فى الصعيد ؟
ــ بخير ، انما اتيت لان ملابسى اتسخت ...
أسرعت زوجة خاله بالقيام ، قبل أن يكمل حمدى حديثه . صاح الخال غاضبا فيها :
ــ خذى الملابس من حمدى واغسليها .
اخذت المراة الملابس دون أن ترد . ثم ذهبت الى الحجرة الاخرى :
ــ لم تجد عملا للآن ؟
ــ كلا .
ــ حدثت مدير المنطقة منذ أسبوع . رحب كثيرا فى أن يجد لك عملا . ولــكننى فى اليوم التالى ، فوجئت به يرفض . ولا ادرى

ما الذى غيره .
ــ لا ادرى انا ايضا . لماذا يحدث هذا .
ــ لا تهتم ، ستجد عملا باذن الله .
اخرج الرجل مبلغا من المال ودسه فى يده :
ــ خذ هذا المبلغ .
ــ لا ياخال . انت لديك اطفال كثيرون .
ــ خذ يا ولد ، ورده بعد أن تجد عملا .
حمد ربنا لان زوجة خاله لم تره وهو يأخذ النقود .
.. ..
ذهب الى مقهى « البيراميد » فى المنشية . قابل هناك مجاهد عبد الراضى وعلى منصور ، وبعض أعضاء الجمعية (من مجموعته) قال مجاهد ، قبل ان يصل حمدى اليهم :
ــ حمدى ، حالته اصبحت صعبة .
اجاب على :
ــ اجل .
اقترب منهم ، حالته الصعبة تلك ، جعلته اكثر هدوءا :
ــ السلام عليكم .
اجلسوه بينهم . قال على منصور :
ــ لم تجد عملا للآن ؟
ــ كلا .
صاح مجاهد :
ــ أحمد صابر عينوه فى مجلس النواب .
ــ لا ادرى ما أفعل . الاسعار فى ازدياد . وانا لا اجد مليما .
اخرج مجاهد مبلغا من المال وأعطاه له .
اراد أن يمتنع كالمرة السابقة ، ولكن حاجته للمال جعلته يقبله صاغرا .
قام فجأة ، قال على منصور :
ــ اجلس حتى تشرب الشاى .
ــ شكرا ، سأذهب لاشترى طعاما ، لم أتناول الطعـــــام منذ الصباح .
قال على :
ــ يجب أن تبحث الجمعية حالته . اقترح أن نجمع له مبلغـا شهريا .

عندما زار خاله ، لاخذ الملابس التى غسلتها له زوجة خاله ، وجد رسالة من أبيه ، يلومه فيها لانه لم يرسل له ما وعد به .
حمل الرسالة والغسيل وخرج .
لم تطلب منه المرأة أن يبقى حتى يعود خاله . واحست بالراحة لانه لم يتزوج ابنتها .
بكى وهو سائر ، والده يريد منه مالا ، وهو لا يجد ما يأكل به .
كان يود لو وجد خاله ، فربما أصر أن يبقى ليتناول الغداء معه .
.. ..
بعد أن كان يرفض اخذ مساعدة من مجاهد . يذهب اليه الان ليسأله عن مبلغ يتناول به غذاءه .
يشعر بالحياء ، كثيرا اذا ما ذهب الى الحجرة (التى ينام فيها) فيجد صاحبها يتناول طعامه ، يحاول أن يعود ثانية ، ولكن صاحب الحجرة، يدعوه لتناول الطعام ، ويصر ، يرفض حمدى ، فهو يعرف انه مازال طالبا ، وينتظر ما تدفعه له أسرته كل شهر .
أحيانا يشاركه الطعام . وأحيانا يدعى انه تناوله فى الخارج — وينام جائعا .
.. ..
بينما كان يستريح من عناء السير ، فى احدى الحدائق العامة ، وجد مجموعة من رجال الشرطة تحيط به :
— تسمح .
أشاح بيده ، لم يعد يطيق ذبابة تقف فوق وجهه :
— ماذا تريدون ؟
— أن تأتى معنا الى قسم الشرطة .
— لماذا ؟
— لنتحرى عنك ، منظرك وملابسك تجعلنا نشك فى انك متشرد . أو لص . أو ...
سار معهم .
.. ..
استدعاه جندى من حجرة الحجز . دفعه فى عنف . سار أمامه حتى حجرة المأمور . وجد أبوزيد فى انتظاره :
— لا حول ولا قوة الا بالله ، من فعل بك هذا ؟!
تظاهر بعدم معرفته :
— ماذا تقصد ؟

ـ اقصد انك كنت احسن حالا ، من هذا الوضع بكثير .
لم يجبه ،
ـ اجلس .
نظر حوله ، خرج المأمور ومن معه . وتركوهما وحدهما :
ـ لعلك لم تتناول طعامك منذ الصباح .
ـ لا أريد طعاما .
صفق بيديه ، دخل جندى . صاح فيه ابوزيد :
ـ أعدوا لحمدى وجبة عشاء كاملة .
اراد أن يصرخ بأنه لا يريد طعاما منه . ولكنه كان جائعا للغاية :
ـ لم تعمل للآن ؟
ـ كلا .
ـ لماذا ؟
ـ لست ادرى .
ـ هل حاولت .
ـ كثيرا .
ـلماذا لم تأت لى لأساعدك .
لم يجبه ..
ـ لقد قلت لك هذا اكثر من مرة . لو اتيت لعينتك فى اليوم التالى مباشرة ، وفى الوظيفة التى تختارها ، ما رايك ؟ اى وظيفة تبغى ؟
ضحك أبوزيد ، قال :
ـ لا بأس ، اذا احتجت شيئا ، تعال الى ، وسأعاونك .
بعد أن استدار حمدى ليسير . قال ابوزيد :
ـ الن تنتظر العشاء ؟
ـ كلا .
ـ اهتم بملابسك ، حتى لا يرتاب فيك رجال الشرطة ثانية .
لم يجبه ..

الخميس ٢٠ نوفمبر ١٩٢٤

فى الساعة الثانية بعد ظهر الاربعاء ١٩ نوفمبر ١٩٢٤ ، وبينما كان « السير لى ستاك » سردار الجيش المصرى ، وحاكم السودان ، عائدا فى سيارته من مكتبه بوزارة الخارجية ، قرب شارع قصر العينى بالقاهرة الى مسكنه بالزمالك . اطلق عليه الرصاص خمسة اشخاص ، كانوا متربصين له فى سيارة بشارع الطرقة الغربى .

أصيب السردار اصابات بالغة ، كما اصيب ياوره البكباشى كمبل . وسائق سيارته وجندى آخر .

وقد توفى السردار متأثرا بجراحه فى منتصف ليل يوم ٢٠ نوفمبر عام ١٩٢٤ .

استدعى رئيس تحرير مجلة (العهد السعيد) صفية ، اعاد اليها مقالا ، ارادت نشره بالمجلة ، قائلا :
– آسف يا عزيزتى . مجلتى لا تستطيع احتمال مقال مثل هذا .
– لماذا ؟
ضحك فى استخفاف :
– انت تعرفين السبب .
– لا أعرف ، صدقنى . المقال يتحدث عن تحكم بعض الناس فى كل شيء . حتى في الصحافة وذلك بمناسبة رفض نشر مذكرات مجاهد عبد الراضى فى مجلة الاصلاح .
– لهذا ، لا استطيع نشره ، انت تقولين انهم يتحكمون فى اختيار القيادات التى تتصل بمصالحهم .
– أجل . وقلت انهم يتحـــــكمون في الاعلام وفى البرامج التى يشاهدها او يسمعها الناس حتى يذاع ما يريدون . وما يدافع عن مصالحهم .
– انت زميلة قديمة ، واعرفك جيدا ، وتعرفيننى جيدا . وكان المفروض الا تأتى به الى ، فمن الممكن أن اوافقك على رأيك . ولكن لا انشره لك ، فأنا اخاف على هذا المقعد .
– أعرف مدى حرصك عليه .
– انشريه فى اى مكان آخر ، بعيدا عنى .
– أجل . سأنشره ولو فىمجلة حائط .
وقالت ساخرة :
– بالمناسبة ، ماذا فعلت فى موضوع البنك الذى تنوى اقامته مع اصدقائك الفرنسيين ؟
رغم علمه انها تسخر منه ، قال :
– ما زلنا نبحث عن المكان المناسب .
.. ..
أسرعت بسيارتها الى مجلة « الاصلاح » كانت تود أن ينشر المقال بمجلة العهد السعيد التى تعمل بها ، لانها واسعة الانتشار ، بينما مجلة الاصلاح ، فقيرة وقراؤها محدودون .
يجب أن تضع حدا لعلاقتها برئيس تحرير مجلة العهد السعيد هذا . انه لا ينشر لها الا المقالات التى لا تضره (على حد قوله) ، ولكنها فى حاجة الى الراتب الذى تتقاضاه من المجلة . ابوها « على

منصور » ، رغم المناصب الهامة التى ارتقاها ، لم يترك لها سوى الفيللا واثاثها . ولكنه كان ممتازا . لقد ورثت عنه العناد والاصرار .
عندما جاء شرطيان ليقفا أمام باب الفيللا ، للحراسة ، أو التشريفة. لم يرض بذلك . أرسل اليهما طعاما وشرابا ، ثم قال لهما :
ــ لست بحاجة لحراسة .
وعندما أحس أن رجال الثورة قد أساءوا التصرف ، لم يخف ، وارسل اليهم قائلا :
ــ عودوا الى ثكناتكم . ودعوا البلد للسياسيين .
وجاءت العربات مكدسة بالجنود والضباط . أحاطوا بالفيللا . وحملوهم جميعا (هى وأمها وأبيها) .
كانوا يشهرون بنادقهم فى أجسادهم ، رغم انهم لا يستطيعون فرارا ، ولا يملكون حتى الدفاع عن انفسهم .
قدمت المقال الى رئيس تحرير مجلة الاصلاح ، الذى امسكه ضاحكا :
ــ موضوع مثير ، مثل موضوع المذكرات التى أوقفوا نشرها .
ــ أجل .
قرأ المقال ، ثم قال :
ــ موضوع جيد . سيثير ضجة ، وربما يسبب لك ضررا .
ــ لا أخاف .
ــ اقصى ما سيفعلونه معي . مصادرة اعداد المجلة . لكن انت يمكنهم أن يفصلوك من المجلة .
ــ ولو ...
فى الطريق ، توقفت أمام مكتب تليفون عمومى . طلبت نمرة تليفون صالح وجلست تنتظرها ، لولا مشاغلها لسافرت اليه لتطمئن ، فهو لم يأتها منذ ان سافر ، لم يتصل بها ، ولا تعلم ماذا فعل . هل عاد الى كلية العلوم . أم ما زال بلا عمل .
ــ ألو صالح . أنا صفية ، ماذا تفعل ؟
ضحكت ..
ــ تقرأ ، ما فعلوه بك فى الشركة افادك ، فانت فى حاجة فعلا لأن تقرأ . ألم تذهب لمقابلة عميد الكلية ، لماذا لم تذهب .. أجل . أجل. ليتك تأتى الى فى الغد . ما دمت لم تعمل للآن . مع السلامة .
ضحكت وهى تضع قدمها فوق البنزين .. صالح يقرأ . ولا يخرج من بيته تقريبا . جمع الكتب التى لديه ، واخذ يقرأ .
.. ..

تلك الايام تذكره بطرده من الكلية الحربية ، كان وقتهـــــا شاعرا بالظلم . وبأنه لن تقوم له قائمة . ولكن أيامها . اخفى احزانه فى جسد ميت . كان يشرد طويلا . وتطارده الاحلام المزعجة .
انما الآن ، يحس بأنه يريد أن يفعل شيئا .
أيامها ، كان يسخر من حماس صفية ، ومن حديثها عن الثورة ، وعن السياسة ، كان كل ما يهمه متابعة ثدييها السمراوين ، وهما يتحركان داخل صدرها .
الآن يفكر فى جسدها كله . ويفكر فى كل ما تقوله دون سخرية .
لن يذهب الى شركة الورق التى نقلوه اليها . ولن يعود الى الكلية ثانية . ولكنه لا يدرى ـ للآن ـ ماذا سيفعل .
ليس من السهل أن يترك المشروع الذى ظل يحلم بتنفيذه سنوات طويلة . ثم بدأ فعلا فى التنفيذ ، الى أن جاء المسمى (أبو الوفا) ، ليضيع كل شىء .
كان يقرأ فى حجرته ، حينما دقت أمه الباب :
ـ أمينة وزوجها فى انتظارك .
ـ أمينة مرة أخرى ؟!
خرج اليهما ، كان فى البيجامة ، وشعره غير منظم :
ـ أهلا بكما .
نظرت امينة اليه فى دهشة :
ـ دكتور صالح ، ماذا بك ؟
ابتسم وهو يصافح يسرى :
ـ ليس بى شىء .
ـ لقد نقص وزنك كثيرا . كما انك غير مهتم بمظهرك .
قال يسرى :
ـ لقد حزنت كثيرا عندما علمت بما حدث لك فى الشركة . واصررت انا وامينة أن نزورك اليوم .
ـ شكرا لكما .
ـ هذه آخرة العمل فى الحكومة .
لم يجد ما يقوله ، قالت أمينة :
ـ لم ، لم تذهب الى العمل الذى نقلوك اليه ؟.
ـ لن أذهب .
قال يسرى :
ـ الا تعمل فى اى شىء الآن ؟

مط شفتيه ولم يجب .
ـ خير ما فعلوه ، خسارة ان تقدم لهم ابحاثك وتعبك .
ـ ماذا تقصد ؟
ـ اقصد ، ان ابحاثك اولى بها شركة قطاع خاص وستدفع لك اكثر .
احس برغبة فى العودة الى حجرته ، ليقرأ ثانية .
ابدت امينة لهفة عليه ، رغم هذا ما عاد يحس تجاهها بما كان يحسه من قبل . ملابسها بدت غالية الثمن . ورأى فى صدرها ويديها حليا ، لم تكن تلبسها من قبل .
قالت :
ـ يسرى يريد ان يخدمك .
حتى امينة تتحدث الآن عن المشاريع التجارية ، ود لو قال لها « اصمتى » .
ـ اتفقت مع شركائى ، ان نقيم مشروعا على البحر للاستفادة من مياه البحر ، لاستخلاص المواد الكيماوية ، وبالطبع سنعتمد عليك فى هذا .
اكملت امينة :
ـ اجل . ستكون انت المدير المسئول .
ـ وستكون لك نسبة كبيرة من الربح .
قالت امينة :
ـ وستحقق بذلك ما كنت تتمناه فى مصنع الحكومة .
ـ ماذا ترى ؟
الأم تدخل حاملة اكواب الشراب .
ـ لم تقل رايك يا صالح ؟.
ـ لا استطيع .
صاحت امينة بضعف :
ـ لماذا يا دكتور ؟
ـ لن اترك العمل فى المصنع الذى اسسته ، وتعبت فيه .
ـ ولكنهم طردوك .
ـ ولو يا يسرى ، المصنع الان متوقف تماما ، ولن يعود الى العمل الا بى . لهذا ، سانتظر حتى اعود اليه .
نظرت امينة الى زوجها ، ثم اعادت رقبتها الى المكان المعتاد . الانحناء .. وصمتت الى آخر الجلسة .
.. ..

ذهب حمدى شعراوى الى بيت خاله .

خاله ما زال فى العمل .. المراة لم تقدم له طعاما ، ولا شرابا .
بقى فى انتظار خاله ، رغم علمه أنها غير مرتاحة لوجوده . لم تحدثه كلمة واحدة .

بعد أن ملت وجوده ، تركته ودخلت الحجرة الاخرى . وتشاغلت عنه ببعض الاعمال .

عندما أتى خاله ، سأله مبلغا من المال . الى حين أن يجد عملا ، قال الرجل :

ــ حاضر يا ابنى .

دخل الحجرة الاخرى ، قال لزوجته :

ــ معك نقود لحمدى ؟

سمعها تقول له :

ــ النقود التى معنا ، لن تكفينا لآخر الشهر .

لم يسمع باقى الحديث ، أسرع الى الدرج . ثم أسرع الى الشارع.

.. .. ..

عرضت الحكومة مكافأة قدرها عشرة آلاف جنيه ، لمن يقدم اى معلومات تفيد التحقيق فى حادث مقتل السردار الانجليزى « السير لى ستاك » .

الخيانة

كان انجرام ثائرا ، وابو زيد حسنين امامه :
ــ قل لى ، ماذا ستفعل الان ، حمدى شعراوى الذى فرغت نفسك لمراقبته ، لم يتغير رغم ما فعلته معه . تركت أعضاء الجمعية يفعلون ما يشاءون ، على أمل أن يوقعهم لك حمدى شعراوى .
لم يجبه ، فهو يعرف طباعه . عندما يكون ثائرا ، لا يحب ان يقاطعه أحد .
قال أبو زيد لرجاله :
ــ ائتوا بحمدى شعراوى لى الآن .
ود حمدى أن يبتعد عن الجميع . عن بيت خاله ، وعن كل أعضاء الجمعية . لم يعد يتمنى رؤية أحدهم .
لقد القى القنبلة على عربة السلطان حسين ، كما أمرته الجمعية ، فماذا نابه من ذلك . لم يستطع أن يخلع ملابسه رغم شدة اتساخها ، لأنه لا يجد من يفسلها له . زوجة خاله هددت خاله . بأن تترك البيت وتذهب الى أهلها فى « أبا الوقف » لو أصر على مساعدة ابن أخته .
كما أن حمدى شعر بالاحراج لوجوده لدى الطالب (عضو الجمعية) . .
فى أيامه الاخيرة لم يكن يتحدث معه سوى كلمات قليلة جدا . . يصحو قبل ان يستيقظ ، ثم يسرع خشية ان يصحو الطالب فيجده أمامه .
ويأتى مبكرا فى المساء لينام قبل ان يأتى ، حتى لا يتقابلا .
باقى أعضاء الجمعية ينعمون بالحياة . يعملون ، ويتقاضون مرتبات . . أعضاء الجمعية فى القاهرة تنكروا له . قالوا مدافعين عن أنفسهم : انهم كلما أرسلوه الى عمل ، حدث نحس ، لا يدرون له سببا .
فى الاسكندرية تناقص المبلغ الذى يدفعونه له . اول كل شهر . والذى كان لا يكفيه لأيام قليلة فى الشهر .
ذهب اليهم فى قهوة البيراميد ، مضطرا ، لعلهم يعطونه مبلغا من المال . .

كانوا يتحدثون عن مقتل السردار الانجليزى .
قالوا أن الجمعية ، هى التى امرت بقتله . ولكنه لم يعرف به . سوى من الجرائد .
فلعل الجمعية قد استغنت عنه ، لفشله فى قتل السلطان حسين ، ورئيس وزرائه .
أعطاه مجاهد مبلغا من المال . وعاد . قبل ان يصل الى بيته ، احاطوا به . التفوا حوله امسكه احدهم من ياقة قميصه :
ـ ماذا تريدون .
دفعوه امامهم فى البوكس فورد :
ـ أيضا ، لان ملابسى متسخة ؟!
دفعه احدهم فى صدره (الاوامر هذه المرة الا يحسنوا معاملته).
كان أبو زيد حسنين غاضبا . هذا الولد خيب ظنه . احرجه أمام رئيسه انجرام باشا :
ـ اهلا حمدى .
ليس فى الحجرة سواهما ، لم يقل له اجلس ككل مرة . اقترب منه ، نظر الى منظره فى تقزز :
ـ سعيد بمنظرك الذى يشبه المتسولين ؟!.
ـ ليس بيدى شىء افعله .
ـ قلت لك ، انا مستعد أن اعينك .
لم يجبه :
ـ طبعا ، علمت بحادث قتل السردار الانجليزى ؟.
ـ اجل .
ـ ما رايك ؟
ـ رأيى . وما شانى انا ؟.
ـ اعلم أن ليس لك شأن بهذا . فانت مراقب . منذ ان خرجت من السجن .
اخرج من سترته شيكا :
ـ اقرأ هذا . شيك لحامله على البنك الاهلى المصرى .
ـ ما هذا ؟.
ـ مكافأة لمن يرشد عن معلومات تفيد التحقيق .
ابعده حمدى بيده :
ـ لا اعرف شيئا .
ـ ربما ، ولكن يمكنك ان تعرف ، كلهم أصدقاؤك ويثقون بك .

لم يجبه .
ـ ساعينك فى الشرطة بمبلغ عشرين جنيها فى الشهر . لو ظللت فى مدرسة الجمعية الخيرية ما كنت ستحصل عليه ولو أصبحت ناظرها .
ـ اكون شرطيا ؟.
ـ ليس بهذا المعنى . ستظل مرتديا ملابسك المدنية . ولن يعلم احد انك تعمل معنا .
ـ آه .
ـ ما رأيك ؟.
ـ آسف .
صرخ فيه :
ـ أنت مجنون . تعشق الفقر . تريد أن تموت من الجوع . ماذا فعلت من اجلك الجمعية . احمد صابر شريكك فى الجريمة . يعمل الان ، وله راتبه . وتزوج وانجب . وانت كالصعلوك تدور فى الحدائق العامة كالكلاب الضالة . تستجدى الناس احسانا .
اقترب منه ، اخرج مبلغا من المال . قدمه له :
ـ خذ . اذهب واشتر ملابس غير هذه التى بليت . واستأجر حجرة . بدلا من نومك لدى التلميذ .
تردد حمدى . ثم بكى وجرى ، امسكه الجندى الواقف خارج الحجرة . ولكن ابا زيد قال له :
ـ دعه يذهب .
اجل . لقد عينت الجمعية احمد صابر ، وهو لم يسألوا عنه . ماذا فعل لهم . لعلهم ادركوا انه لا يصلح لاى عمليات اخرى . بعد أن عرفه البوليس السياسى .
عشرة آلاف جنيه . مبلغ ليس باليسير . يمكنه ان يشترى به فدادين .. ولكن . أيبيع زملاءه .
كان ما زال يبكى .. دخل حجرته ، وكان الطالب يستذكر ، قال له :
ـ لقد جاء خالك هنا . ويقول لك ان اباك فى انتظارك عنده .
قال له الطالب بعد أن نظر اليه طويلا :
ـ ماذا بك ، ارى بقايا دموع فى عينيك .
ـ لا شىء .

ــ البوليس ما زال يضايقك ؟.
ــ لا شيء ، ساذهب لأرى أبى .
لقد انحاز خاله لزوجته ، ما عاد يتحدث معه كما كان قبلا . لعله احس ان حالته ميئوس منها ، ولا أمل فيها .
عندما رأته زوجة خاله ، وقفت ، ثم دخلت الحجرة الاخرى . قال خاله :
ــ تعال يا حمدى .
صاح أبوه فى دهشة :
ــ ماذا حدث لك يا ولدى ، اجننت ، انك تشبه مجنون بلدتنا الذى يضربه الاولاد بالطوب .
شد خاله على يد أبيه ليسكته ، لكن الرجل لم يسكت :
ــ لقد بعت القيراط الآخر ، لأسدد ديونى .
كنت منتظرا ان تعيننى فى كبوتى . (بكى الرجل ، ولم يستطع ان يكمل) .
أتت زوجة خاله ثانية . نظرت اليه فى غيظ ، ومصمصت شفتيها. قال :
ــ يا أبى ، أنا لم اقصر فى شيء .
ــ لم تقصر ، لقد قصرت رقبتى . يا عارى وسط اهل البلدة . الذين كنت افخر بك امامهم .
(وبكى الرجل ثانية) .
اقتربت زوجة خاله من الرجل . واخذت تهـدئه ، ثم قالت لحمدى :
ــ انظر ، ماذا فعلت بالرجل ؟.
قال خاله لها :
ــ وما ذنبه هو ؟!
نظر حمدى اليهم ، ثم اسرع الى السلم .
عاد الى الحجرة ، كان الطالب نائما .. سار فى حذر حتى وصل لفراشه . لم يشعل المصباح . اراد أن ينام لم يستطع ، أخذ يبكى طويلا .
فى الصباح استيقظ قبل الطالب ، أو لعله لم ينم ابدا .
ذهب الى قسم الشرطة ، قال :
ــ أريد القائمقام ابو زيد حسنين .
ظل جالسا لدى المأمور حتى جاء ابو زيد لمقابلته .
.. ..

المبلغ الذى أعطاه له ابوزيد كبيرا ، اشترى ملابس ، وتناول غداءه فى احد المطاعم ثم دخل دكان حلاق ، حلق شعر راسه ولحيته. وركب عربة حنطور حتى بيت خاله .

نظرت اليه زوجة خاله فى دهشة ، سألها عن والده . قالت وهى ما زالت تنظر اليه :

ـ لقد سافر بعد ان مشيت مباشرة ، اقسم الا يبيت فى الاسكندرية ليلة ثانية .

ترك لها مبلغا من المال ، قائلا :

ـ المبلغ الذى اقترضته من خالى .

وخرج . ذهب لأقرب مكتب بريد ، أرسل حوالة الى والده بمبلغ معقول ، واعدا اياه ان يرسل مبلغا اكبر فى القريب جدا .

حمل امتعته من الحجرة . دون ان يكون صاحبها موجودا . ترك له رسالة يشكره فيها على حسن استضافته . ويعده بأن يزوره فى القريب .

استأجر حجرة قريبة من الحجرة الاخرى . التى كان يسكنها فى الهماميل . قبل أن يدخل السجن .

سار خطوات فى طريقه لقهوة البيراميد ، لمقابلة اعضاء الجمعية ، ولكنه تذكر شيئا . فعاد ثانية . ارتدى ملابسه القديمة النظيفة . حتى لا يرتابوا فى أمره ، وسار اليهم .

علم منهم أن مرتكبى الجريمة ، هم عائلة عنايت ، مع محمود اسماعيل وآخرين ..

لم يشك أحدهم فيه . الكل يعرف مدى وطنيته واخلاصه . لهذا تحدثوا معه بحرية .

قابل ابو زيد حسنين ، اخبره بما دار فى القهوة .

ابتسم ابو زيد ، بعد أن أخرج الشيك :

ـ هذا الشيك ، سيكون من نصيبك ، ولكن ، اريد الدليل .

سافر حمدى شعراوى الى القاهرة ، قابل عبد الفتاح وعبد الحميد عنايت . الاخوين اللذين اشتركا فى قتل السردار . احتضنهما .

ـ أهلا حمدى .

دار الحديث عن حادث القاء القنبلة على السلطان حسين . الى ان وصلوا لحادث قتل السردار الانجليزى . قال حمدى :

ـ اعلم انكما اشتركتما في قتله .

نظر احدهما الى الآخر ، ولم يردا ، اكمل هو :

ـ الحل فى رأيى . هو قتل رجل فى قدر السردار . او اكثر قدرا منه .

ـ لماذا ؟.

ـ حتى نشغل الرأى العام والحكومة . وتعتبر قضية السردار اقل اهمية .

ـ فكرة عظيمة حقا ، بشرط أن يكون « يستحق ان يقتل .

ـ أستطيع أن أقوم بهذه العملية .

اخذوا يدرسون الفكرة من كل نواحيها . من يكون هـذا الذى سيقتل . انجليزى ، ام مصرى ، وزير ، أم .. الخ .

واتفقوا على أن يزورا حمدى بالاسكندرية . للاتفاق على التنفيذ. فى بيته ، اخرج حمدى لهما القنابل التى اعطـاها له أبوزيد ، ومسدسا . ثم اقترح الا يسرعوا فى التنفيذ . حتى لا تفشل الخطة. كما حدث معه فى حادثة القاء القنبلة على عربة السلطان حسين كامل.

.. ..

اتفق حمدى مع أبى زيد على ان تنشر احدى المجلات ، بما يفيد عثور الشرطة على معلومات ، توصلها الى الفاعل الحقيقى لقتـل السردار الانجليزى . وأن الحكومة ستقوم بحملة تفتيش واسعة للقبض على المنفذين للعملية .

.. ..

نشرت مجلة المقطم خبرا بهذا المعنى .

.. ..

حمل حمدى مجـلة المقطم (المنشور بهـا الخبر) الى الأخوين عنايت . وصاح بهما :

ـ لقد انكشف امركما .

ـ ماذا حدث ؟

ـ اقرءا .

وقرءا ما كتب :

ـ والعمل ؟

ـ أن تهربا الى ليبيا ، فلا تهتما بهذا . فانا اعرف جماعة يمكنها تهريبكما .

.. ..
حضر حمدى الى الاسكندرية . وذهب الى قهوة البيراميد . حيث يجلس مجاهد وعلى منصور عادة . حاول مجاهد . أن يدفع له مبلغا كالعادة . لكنه رفض قائلا :
ـ لقد وجدت عملا مناسبا . راتبه ليس بالقليل .
ثم قال لهما :
ـ عبد الحميد وعبد الفتاح عنايت ، فى حاجة لتهريبهما الى ليبيا . واعلم انكما تعرفان بعض الرجال فى الكوم الاخضر ، يقومون بهذا .
قال مجاهد :
ـ أجل . ومستعد لمساعدة الاخوين عنايت .
ـ سأحضرهما معى . وانت عليك الباقى .
اتفقوا ، أن يتقابل حمدى ومجاهد أمام سينما عباس (أمام مسجد البوصيرى) الساعة الثانية صباحا . حتى لا يكتشف أمرهما أحد. ثم يبيت الاخوان عنايت لدى مجاهد ويبقيان فى بيته لمدة أيام . وفى بيت على منصور عدة أيام أخرى . حتى يعدان لهما ملابس بدوية للتنكر . وباقى الاستعدادات للسفر .
ذلك ما أعده حمدى فى نفسه . ليوقع بمجاهد وعلى منصور مع الاخوين عنايت .
وترك القهوة ليبلغ ما اتفق عليه معهما لأبى زيد .
.. ..
ظل مجاهد واقفا أمام سينما عباس . حتى الثانية صباحا دون أن يأتى أحد .
(بعد سنوات ، قابل مجاهد عبد الراضى ، حمدى شعراوى . فقال له حمدى ما معناه ، أنه اراد فعلا أن يوقع به وبعلى منصور . ولكنه تذكر مساعداتهما له .. فتراجع فى آخر لحظة . ولم يحك لأبى زيد حسنين ما اتفق معهما عليه (لهذا لم يأت حسب الميعاد ، امام سينما عباس) .

حمل عبده رشوان ، وابراهيم زيدان كل الملفات التى كانت فى مكتب دكتور صالح مجاهد ، ووضعاها فوق مكتب ابو الوفا ، كما طلب .

نظر الرجل الى الاوراق ، داخل الملفات . والى الاصطلاحات التى تشبه التمائم ، ووضع يده فوق رأسه . ثم أغلق الملفات ، دون أن يفهم شيئا .

الكل فى الشركة يأتى دون أن يعمل .

رئيس المؤسسة يعلم ان المشروع متوقف . وانه من الصعب ان يعمل ثانية دون صالح . ولكنه لا يريد أن يقول شيئا . حتى لا يغضب عليه علوان باشا . أنه سيحال الى المعاش بعد عامين . فماذا يضر لو بقى المشروع متوقفا لمدة عامين . حتى يخرج هو على المعاش .. ومن سيأتى من بعده . يفعل ما يشاء . ربما — حينذاك — لن يكون هناك علوان باشا . ولا أبو الوفا .

قال أبو الوفا لعبده رشوان وابراهيم زيدان :

— سأطلع على الملفات فى الغد .

يعلمان أن الغد لن يأتى أبدا . وانه لن يفهم شيئا . ولن يتحرك حتى فى طلب خبير فنى يفهم فى هذا العمل .

.. ..

أغلق ابو الوفا درج مكتبه . وأسرع الى سيارته .

نشرت مجلة الاصلاح مقال صفية .

لم يهتم به أحد . سوى بعض المثقفين ، حتى الجهات المسئولة من تتبع هذه المقالات ، لم تحس به .

ولكن أحد المثقفين ، اتصل بمسئول ، ونبهه لخطورة المقال . وعندما قرأ ذلك المسئول احس بأنه — هو ومعاونوه — مقصرون فى عملهم . لانهم لم يكتشفوا أمر هذا المقال ، دون أن ينبههم ذلك المثقف المهتم .

لابد من وضع أسس جديدة لمعاونيه حتى لا تفوتهم هذه المقالات المحرضة .

لم يتمكنوا من مصادرة اعداد المجلة . فقد بيع معظمها . لان ذلك

المثقف المهتم . لم ينبههم الى ذلك . الا بعد أيام من صدور المجلة . صادروا الاعداد القليلة المرتجعة .

واتصلوا برئيس تحرير مجلة العهد السعيد . طالبين منه اقالة هـذه الصحيفة الجـريئة حتى دون أن يستدعوها ، ليسألوها عما كتبت .

قال مسعد ، رئيس تحرير مجلة العهد السعيد :

ــ لقد حذرتك يا عزيزتى . انت صحفية نشيطة . ولكن ما باليد حيلة .

قالت ساخرة :

ــ لا تهتم ، كنت متوقعة هذا . ما هى آخر أخبار البنك الذى ستشارك فيه زملاءك الفرنسيين ؟.

ــ كل شيء جاهز . الامر متوقف على المكان .

عندما قابلت صفية صالح . قالت ضاحكة :

ــ اصبحت مثلك عاطلة .

ــ انت أيضا ؟!

ــ اقالونى ، لمقالى بمجلة الاصلاح .

ضحك صالح طويلا . شدها اليه وقبلها :

ــ حتى موضوع زواجنا يتعقد . كنت سأعتمد على راتبك من المجلة . لحين أجد حلا لمشكلتى كان يسخر . وكانت هى شاردة . هل نستطيع أن تعيش من عائد المقالات التى تنشرها فى المجلات والجرائد غير الحكومية .

ــ ماذا ستفعل فى موضوع عملك ؟

ــ سأتصل برئيس المؤسسة ثانية .

ــ حاول ، رغم انى ارى ان موضوع الكلية مضمون .

ــ لا . لن اترك المشروع أبدا .

.. ..

احست ملك براحة بعـد ان اتضح لها ان ابا الوفا لا يستحق منها أى اهتمام . وما كانت تفعله معه فى الماضى ، من رعاية واهتمام، كان بلها منها ، لا أكثر .

تستذكر دروسـها الان ، فوق مكتب ــ ابن زوجها ــ يراها ابو الوفا . ينظر اليها من بعيد . يود ان يتحدث معها ، ولكنه لا يقدر .. تذكره باسماعيل .

يدخل حجرته « زنزانته » . يبكى احيانا . فالبكاء هو الشىء

الوحيد الذى يستطيعه الآن .
القراءة ما عاد يستطيعها ، وكلما امسك جريدة او كتابا ، شرد .
انه يهدم مشروعا كاد ينتج . يعلم هو هذا . لكن ماذا يفعل .
أيتركه . والى أى مكان يذهب بعده ؟
شجاعة العجوز يهمس فى اذن ملك . تضحك ، تشده من اذنه .
فالرجل يتضامن معها ضده . لا يحدثه ـ هو الاخر ـ الا اذا
بداه بحديثه .
.. ..
سمعت صفية صوت دق الجرس . وهي في حجرتها . في
الدور العلوى من الفيللا .
كانت حينذاك مع صالح .
قال صالح :
ـ من سيأتى الان ؟
اذ كانت الساعة تقترب من الثانية عشرة مساء .
اسرعت صفية الى الباب ، فوجئت بوجود مسعد (رئيس تحرير
مجلة العهد السعيد) .
ـ أهلا . أستاذ مسعد . تفضل .
قال مبتسما كعادته :
ـ زيارة مفاجئة . ودون سابق موعد . وفى وقت متأخر . اعلم
كل هذا . ولكن ماذا أفعل ...
ـ لا عليك . اهلا بك فى اى وقت تشاء .
سارا معها . واجههما صالح ببيجامته . فوق أعلى الدرج . نظر
مسعد الى صفية فى دهشة ، دون أن يقول شيئا .
قالت هى :
ـ استاذ صالح .
لم يهبط صالح . ولم يحييه . اسرع الى حجرة النوم ثانية . وشد
الغطاء حول جسده .
ـ فى الحقيقة ، جئت لامر هام . كنت مجتمعا مع اصدقائى
الفرنسيين ، وفجأة تذكرت فيللتك الجميلة .
ـ ماذا ؟
ـ أجل . انها أصلح مكان للبنك الذى ننوى اقامته .
ـ استاذ مسعد ، ماذا تقول ؟
ـ أقول اننى استطيع أن أدفع لك مبلغا لا يخطر لك على بال .

ـ لن أبيعها ، مفهوم ؟!
ـ من قال اننى أريد شراءها . كل ما أريده هو أن أستأجرها .
وقفت :
ـ أستاذ مسعد ، اننى لا أطيق حديثك .
ـ اجلسى يا صفية .ولاتتسرعى . أنا اختلف معك فى أسلوب حياتك . ولكننى معجب بك . لقد أقالوك من المجلة . مرتبك لن تحصلى عليه .
ـ ليس هذا من شأنك .
ـ العائد الذى سيأتيك من مقالاتك فى المجلات الاخرى لن يكفى ..
ـ ارجوك .
ـ سأدفع لك اضعاف ما كنت تتقاضينه فى المجلة . ويمكنك استئجار شقة صغيرة مناسبة . الفيللا كبيرة عليك جدا .
ـ لن أتحدث فى هذا الموضوع ثانية .
ـ على أى حال سأجعلك تفكرين .
سار الى الباب ، ثم نظر ناحية الدرج . وقال :
ـ صالح هذا ، زوج المستقبل .
ـ ليس من شأنك أيضا .
ـ لا تغضبى . سعدت مساء .
.. ..
ـدكتور صالح .. !
شده رئيس المؤسسة اليه ، قبله :
ـ كيف حالك يا ابنى .
ـ لست سعيدا .
ـ وأنا أيضا .
ـ لماذا وافقت على نقلى ؟
ـ انقلك خيرا من ان أحال الى المعاش قبل أوانى .
ضحك صالح لصراحته :
ـ اجلس يا صالح يا ابنى . هناك امورا كثيرة لا تستطيع ادراكها الان . عندما تصل لمثل عمرى ، ستفهم كل شىء .
ـ المشروع يموت الآن .

ـ انني حزين عليه مثلك . كان احد احلامى . كنت أرد أن يتحقق قبل أن احال للمعاش .

ـ افعل شيئا .

مط شفتيه وقال :

ـ الله يفعل ما يريد .

ـ ليس هناك حل .

ـ ربما ، ولكن من المؤكد انه ليس عندى .

زار حمدى خاله ، كان يرتدى بدلة جديدة ، ومحملا بالهدايا له ولأولاده . .

أخرج مبلغا من المال ، وقدمه لخاله . قال الرجل :

ــ لقد دفعت لى اكثر مما اقترضته منى .

ــ هذا المبلغ هدية منى للأولاد .

ــ ربنا عوض صبرك خيرا ، بعملك الجديد .

ــ أجل .

ارسل مبلغا من المال لأبيه فى « أبا الوقف » ، قال له :

« ربنا سهل . وعملنا فى وظيفة كبيرة » .

ولكنه لم يستطع أن يسافر اليه . خشى أن ينظر والده فى عينيه. فيكتشف سره .

قام مستأذنا من خاله . لانه سيسافر فى الغد . فى مهمة تابعة لعمله الجديد .

.. ..

كان الاخوان عنايت مستعدين للسفر . قال حمدى :

ــ لا تتركا شيئا هنا . حتى لا يتخذه البوليس دليلا عليكما . فالحكومة لا شك ستفتش شقتكما .

قال عبد الحميد :

ــ أجل . سنأخذ المسدس الذى اطلقنا به النار على السردار معنا .

سافروا فى القطار الى الاسكندرية . قال عبد الفتاح عنايت :

ــ ولكن الرحلة الى ليبيا تحتاج لمصاريف كثيرة . ونحن لسنا بمستعدين لهذا .

صاح حمدى معاتبا :

ــ تقولان هذا وأنا معكما . قتل السردار الانجليزى فخر لنا جميعا . لى مستحقات فى دائرة طوسون . سأذهب الى هناك . لأخذها . ونسافر الى طرابلس .

نزلا الاسكندرية . وقف الاخوان عنايت فى الخارج . ودخل هو دائرة طوسون . كان ضابط من مساعدى أبوزيد فى انتظاره .

اتفقا على كل شيء . ثم خرج حمدى :
ـ كل شيء تم بنجاح . أنتما ولاد حلال . اعطونى كل مستحقاتى .
اشتروا ملابس بدوية ، ارتدوها في أحد الفنادق . وأصر حمدى أن يتركوا الملابس فى الفندق . خشية أن يكتشف البوليس أمرهم، اذا ما وجد ملابس غير بدوية معهم .
ثم خرجوا من الفندق بملابس البدو . استقلوا القطار الذاهب الى مطروح .
وفى احدى المحطات صعدت الى القطار قوة من الشرطة . فتشوا الركاب واحدا واحدا .
ارتعش الاخوان عنايت ، وكذلك حمدى . أحس بأنه يود أن يقفز من القطار ويجرى . ولكن لم يستطع الا أن يكمل . قال لرفيقيه :
ـ لا تخشيا شيئا . لعلها حملة عادية للقبض على المهربين .
واقتربت الشرطة من الاخوين عنايت . فتشتهما . وقبضت عليهما .
وقف حمدى بجوارهمـــــا كأنه شريكا لهمـــا فى قتل السردار الانجليزى .

.. ..

استيقظ أبو الوفا من نومه فزعا . لم يجد ملك بجواره . أسرع الى الخارج .
لقد تحققت النبوءة أخيرا . أن تهرب ملك مع شاب صغير . أجل . ولد من الاولاد الذين يزاملونها فى الكلية .
سار ناحية دورة المياه . وجد حجرة شحاتة مفتوحة . أسرع اليها . هذه المرة ليس شابا صغيرا . انما عجوز كشحاتة .
دخل الحجرة ، وجد شحاتة نائما وحده . ضربه بقدمه :
ـ قم يا حمار .
صاح الرجل فزعا :
ـ أمرك يا سعادة البك .
ـ لماذا لم تغلق الباب قبل أن تنام ؟!
ـ آسف يا بك . سأغلقه .
تركه وخرج . وجد ملك أمامه تمسك كتابا :
ـ أين كنت ؟
ـ أستذكر فى حجرة اسماعيل ، الامتحانات تقترب .

ـ لماذا فعلت بشحاتة هذا ؟
ـ ما شأنك أنت ؟
ـ رجل عجوز أكبر منك .. تغار على منه ؟!
صرخ فيها :
ـ أنا لا أغار عليك ، لا أهتم بك .
ـ لقد مللتك ، ذهبت الى الكلية لاهرب منك . ولكن الظاهر انك ستقتلني بأفعالك الشاذة .
ـ أنا شاذ ؟!
ـ أجل .
هجم عليها ، صفعها بجنون . يده ما زالت قوية رغم ارتعاشها الدائم ..
رماها فوق البلاط . أسرع شحاتة اليه .
ـ بربك اتركها . انا الذى أستحق الضرب لا هى .
قامت ملك . الضربة آلمتها . لكنها ما زالت تعانده :
ـ سأترك لك البيت ، هذه المرة لن أعود أبدا .
ـ فى ستين ...
بكى شحاتة بجانبها ، وتركهما هو ودخل حجرة النوم وأغلق الباب خلفه ...

.. ..

قالت ملك لاخيها محمود :
ـ حاولت أن أتحمله ، حتى أحصل على الليسانس ، كى لا أحملك أعبائى . لكننى لم أستطع .
ـ بيتى مفتوح لك الى الابد . انت التى اصررت ان تذهبى اليه .
ـ لن أعود اليه أبدا .

.. ..

حمل شحاتة أشـــياءه وعاد الى بلدته . وأبو الوفا وحده فى الشقة ، تتراقص أمام عينيه .
وجوه وصور . صورة اسماعيل الحزينة . وصورة أخيه أبوزيد ببدلته العسكرية . وصورة ملك التى تبتسم ـ الآن ساخرة منه .

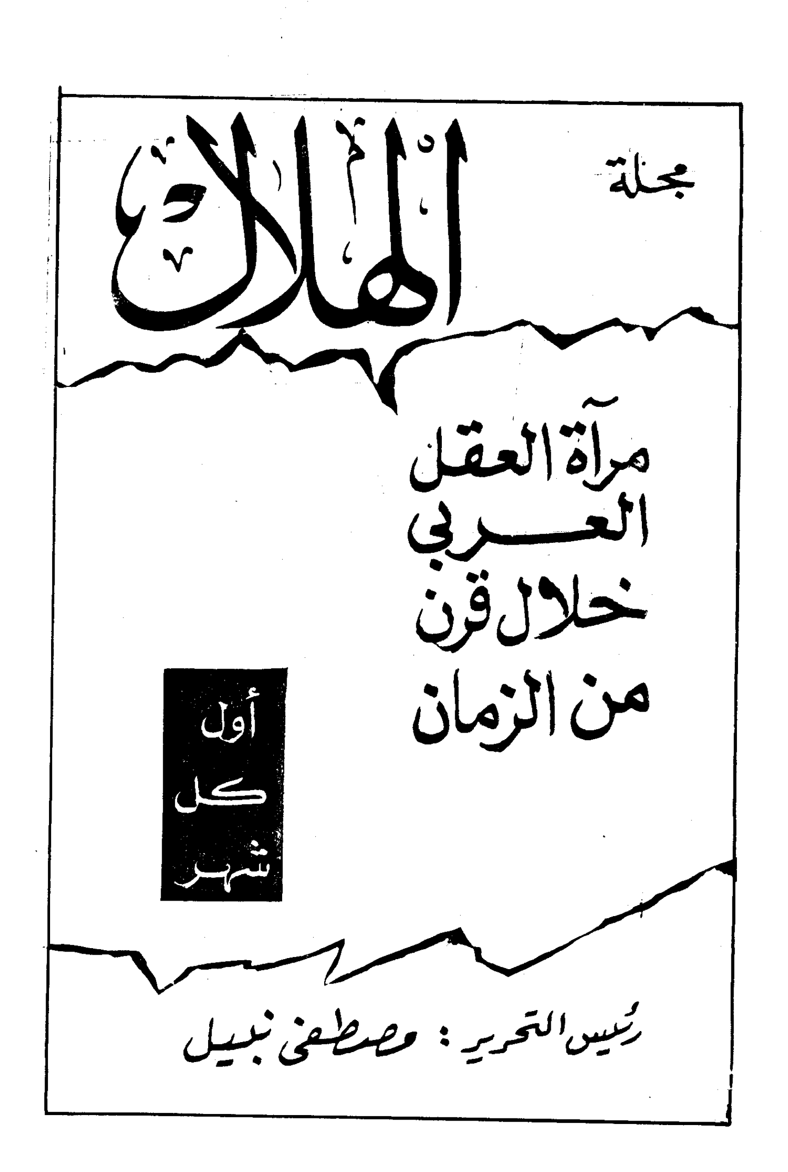
.. ..

قالت صفية لصالح :
ـ ذلك الرجل ما زال يطاردنى ، تصور ، ارسل لى كل معارفى ليؤثروا على لأؤجر الفيللا .

ضحك صالح قائلا :
ــ أخشى ان تضعف مقاومتك وتؤجرينها له .
ــ لست انا التى تفعل هذا . قل لى ماذا فعلت فى مشكلتك ؟
ــ لا شىء .
ــ والعمل ؟
ــ سأبقى معك فى الفيللا . الى ان أجد حلا .

((تمت))

الاسكندرية فى ١٩٨٥/١٠/٢٧


مجلة
الهلال
مرآة العقل
العربي
خلال قرن
من الزمان
أول
كل
شهر
رئيس التحرير : مصطفى نبيل

رقم الايداع : ١٩٨٨/٢٠٥٣
التقرين الدولى : ١ - ٣٤٠ - ١١٨ - ٩٧٧ ISBN